مسلمو تركستان الشرقية(الايغور) والعلاقة مع السلطات الصينية. دراسة في اليات الاندماج والاستيعاب

*د. علاء عبد الرزاق مطلك الفهد
باحث من العـراق

*جامعة بغداد/ مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية
alaaakadian@gmail.com

ملخص :

تشكل طبيعة العلاقة بين المسلمين والسلطات الصينية عبر العصور المحور الاساسي لهذه الورقة والتي وان تناولت الوضع الخاص بالمسلمين في الصين من حيث الوجود التاريخي وطبيعة العلاقة مع الاسر الصينية الحاكمة الا انها تمحورت حول الوضع الخاص بمسلمي تركستان الشرقية أو ما يعرف باسم الايغور والذين يقطنون في الجزء الشمالي من البلاد، ولابد من الوقل إن تعامل بعض السلطات المتعاقبة في الصين مع المسلمين بشكل عام والايغور بشكل خاص قد جاء طبقا لتصور يقوم على ان المسلمين ليسوا صينيين في الاصل بل وفدوا عبر حقب متتالية على البلاد وبالتالي فان الوضع الخاص بهم لا يختلف عن وضع الجالية الاجنبية، وبقبالة هذا الرأي هنالك اتجاه ساد في الاوساط الرسمية الصينية بان المسلمين جزء أساسي ومكون أصيل من مكونات البلاد وان هنالك ضرورة لان يتمتع بكافة الحقوق الدينية والثقافية والتي تبقيه متميزاً عن الاعراق والمكونات الاخرى. لقد تداخلت جملة من العوامل الجيوستراتيجية والتي دفعت بالسلطات الصينة للتضيق على المسلمين في شمال شرق الصين وذلك للحيلولة دون تبنيهم نزعة انفصالية او الترويج لفكرة اقامة دولة طورانية تمتد لتشمل بلدان مجاورة للصين، بمعنى إن العامل السياسي والجغرافي كان هو الفيصل المحدد في نوع العلاقة التي ميزت الحكومة الصينية مع مسلمي تركستان الشرقية.

كلمات مفتاحية : الايغور، الاسلام في الصين، الاستيعاب

Muslims of East Turkestan (Uyghurs) and their Relationship with the Chinese Authorities. A Atudy in the Mechanisms of Integration and Assimilation

Dr. Alaa Abdul Razzaq Mutlaq Al-Fahd
Researcher from Iraq
University of Baghdad / Center for Strategic and International Studies

ABSTRACT

The topic area of that's a paper dealing with conditions of Muslims of China as a whole and Uyghur as a partial community in the northeast of China, the main hypothesis of the paper-based upon the mechanism which was adopted by Chines governments during centuries, and how that's governmental procedures influenced upon relations between Muslims and China government in last decades.

The controversial issue of relations between Muslims and China authorities that's many Chines consider Muslims of China are descendants of the Muslims from the Middle East and Central Asia who migrated to China at different times and for different reasons. The opening of China and the collapse of the Soviet Union have brought profound changes to the border region between the two countries. In official pronouncements, governments on both sides of the border have emphasized the military and political cooperation and economic development that has been taking place since the early conflict.

However, it is clear from the study of confidential documents from state organizations and from discussions with local scholars that, in private, governments accept that regional and ethnic identities, which are still evolving, remain a significant part of the complex jigsaw of relations in the region and must be taken into account when the policy is being formulated .because of the security dilemma in borders the Chines authorities treat with the Uyghur question with security procedures, that's mean incorporated them with forcibly means.

KEY WORDS: Uygur, Islam in China, Containment

المقدمة:

يؤدي الاختلاف الديني أو العرقي دوراً كبيراً في إثارة مكامن الصراعات العرقية والاثنية وذلك إذا ما توفرت الارضية الخصبة لإذكاء عوامل الصراع ولم تتوفر الادارة الناجحة التي تتمكن من ادارة سبل الاختلاف والتنوع بشكل يفضي لمخرجات سليمة وهو ما يؤدي لتأزم في العلاقة بين الحكومة والاقليات العرقية أو الدينية الموجودة داخل البلاد، وإذا ما تم تداخل بين ما هو داخلي وبين ما هو اقليمي بمعنى أن يكون للأقلية العرقية والدينية امتداد سكاني خارج حدود الاقليم الذي تقطن فيه، ومن هنا تتولد الازمة، والتي قد تلعب عوامل دولية دوراً كبيرا في تأجيجها أو تلعب على وتر اشعالها واستغلال مخرجاتها لضرب البلد الام الذي يتهم بعدم

احترام الحقوق الدينية والثقافية للأقليات أو انتهاك وجودها وكيانها المتمايز عن المجموع، ولعل تداخل العوامل الداخلية والاقليمية والدولية يظهر بشكل بارز في قضية مسلمي الايغور في الصين وهو موضوع البحث.

يعد مسلمو تركستان الشرقية والمعروفين باسم الايغور أكبر مجموعة عرقية متمايزة في الصين وذلك لاختلافها عرقياً ودينياً عن الاغلبية المهيمنة في البلاد وكان لطبيعة الدور والتأثير الذي مارسته هذه المجموعة في حياة المسلمين في تلك الرقعة الجغرافية تأثير كبير على مديات حضورها ومن ثم الاهتمام بها بعدما اضحت جزءا من جمهورية الصين الشعبية واغلقت بستار قوي من التعتيم الاعلامي وحظر لممارسة النشاط الديني والثقافي.

لعبت عوامل تاريخية وجغرافية دوراً كبيرا في رسم معالم الهوية الايغورية المعاصرة

لقد لعبت عوامل تاريخية وجغرافية دوراً كبيرا في رسم معالم الهوية الايغورية المعاصرة والتي جعلتها كما ذكرنا انفاً متميزة ومختلفة عن الهوية الصينية التي تحاول الحكومة فرضها بالاستناد ايضا إلى أدلة تاريخية تواءمت مع الحقبة التي هيمنت فيه الصين في عهد الاباطرة على هذه المنطقة، كما لعبت الموارد الطبيعية وطبيعة المنطقة التي تمثل منفذ الصين على منطقة اسيا الوسطى دوراً كبيراً في التضييق على مقومات الهوية الايغورية والتي أضحت مرتبطة بالإسلام السياسي بدرجة كبيرة سيما في العقود الأخيرة.

إن الفرضية الاساسية التي يتمحور حولها البحث تتجلى بالكيفية التي نظر بها مسلمو تركستان الشرقية للحكومة الصينية والتي كانت جزءاً من نظرتهم لمؤسسة الحكم في الصين منذ قرون خلت، وكيف تعاملت الحكومة الصينية بالمقابل مع المسلمين فهل سعت لإدماجهم قسراً في المجتمع الشيوعي الصيني أو انها استوعبت اختلافهم وتمايزهم العرقي والديني وعدم تقبلهم للفكر الشيوعي وسمحت لهم بقدر لا بأس به من التمايز عن قطاعات كبيرة من فئات الشعب الصيني،

واما الاشكالية الخاصة بالبحث فتستند على إثارة جملة من الاسئلة منها ماهية العلاقة التي ربطت المسلمين بالحكومة الصينية وهل كانت علاقة تقوم على الانسجام أو التوتر؟ وكيف تعاملت الحكومات الصينية المتعاقبة مع الوجود الاسلامي في البلاد وهل كان هذا الوجود بمثابة إثراء وغنى للثقافة الصينية أم عامل غذى طابع التعصب لدى الطرف الاخر ودفعه لاتباع سياسات تقوم على العنت والاضطهاد وسلب حقوق المسلمين؟

وفي إطار هذه العلاقات كيف رعت الصين تفاعلها مع العالم الاسلامي ومع البلدان التي يشترك سكانها عرقياً مع الايغور وهم شعوب آسيا الوسطى، وكيف اثر تعاملها مع مسلمي الايغور على طبيعة النظرة اليها كدولة شمولية متعددة الاعراق والاديان؛ وكيف اثرت مثل هذه النظرة على سمعتها ودورها الاقليمي والعالمي المتعاظم في العقود الاخيرة.

ما هي الاليات الدفاعية التي انتهجها المسلمين في الصين كأقلية للحفاظ على هويتهم المتميزة والمتمايزة عن الأغلبية وما هي الافكار القومية والسياسية التي تبنوها طيلة عقود من تأسيس الحكم الشيوعي في الصين، وما هي المشاريع السياسية التي يسعون لتحقيقها في ظل وجود دولة قوية شمولية إن كان لهم أصلا مشاريع سياسية، وما طبيعة العلاقة التي تربطهم بمحاولات تركيا إحياء الهوية الطورانية لجميع الاتراك خارج الوطن التركي؛؟

لابد من القول إن المنهج المتبع في البحث هو المنهج التاريخي والذي يستند على تبيان الجذور التاريخية للعلاقة التي ربطت مسلمي الايغور بالسلطات القائمة في الصين وطبيعة هذه العلاقات ومدى ما انعكس من تأثيراتها سلباً أو ايجاباً على المسلمين.

بين يدي البحث:

تعد الصين موطناً لما يقارب الخمسين مليون مسلماً موزعين على مجموعتين أساسيتين هما (Hui) والايغور الموجود في المنطقة الحدودية الشمالية الغربية المتاخمة لآسيا الوسطى والتمييز بين هاتين المجموعتين ضروري لفهم طبيعة العلاقة بين الحكومة الصينية والمسلمين وكيفية تبلور هوية مسلمة صينية، تسعلا للاندماج بالهوية الصينية الجامعة، ومثل هذه الرغبة بالاندماج يبدو واضحاً عن أبناء مجموعة (Hui) أكثر من الايغور بحكم وجودهم في أكثر من مكان في الصين فلا وجود لطرف قصي حدودي يمثل كيانهم القومي واللغوي كما هو الحال مع الايغور، ولابد من التذكير بحقيقة تاريخية وهي إن تبلور الهوية الصينة لدى المسلمين الصينيين لم يأتِ بطريق معبد بالورود وانما جاء بعد صراعات دموية حادة بين العرقً الغالب والسائد في الصين (Han) وكذلك المسلمين، والذي لم تُحل بعض فصوله المعقدة حتى الوقت الحاضر، وقد يكون القادة الشيوعيين في الصين الاكثر قدرة على تفهم العلاقات المعقدة التي ربطت بين المسلمين ككل وبين الحكومات المتعاقبة في الصين إذ اتبعت سياسة تقوم على الانفتاح على المسلمين من مجموعة دون اخرى وربطت النشاط الديني والثقافي بأجهزة الدولة وقيدت نشاط الايغور لارتباط هويتهم الدينية برغبات انفصالية تؤدي الى تقويض وحدة الصين وتدخل قوى خارجية في شؤونها الداخلية.

إن تبلور الهوية الصينة لدى المسلمين الصينيين لم يأتِ بطريقٍ معبد بالورود وانما جاء بعد صراعات دموية حادة بين العرق الغالب والسائد في الصين (Han) وكذلك المسلمين

نبذة تاريخية عن الاسلام في الصين:

تستند الروايات التاريخية للمسلمين في الصين لما يشبه الاسطورة بدخول سعد بن أبي وقاص الزهري القرشي للصين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أي بعد قيامه بفتح العراق ومن ثم توجه نحو الشرق و وصوله للصين وبنائه لواحد من أقدم المساجد الاسلامية فيها، وبطبيعة الحال لا يمكن التصديق بهذه الرواية أو تقبلها وعلى أي نحو، غاية ما في الأمر هي إن المسلمين يَسعون لربط

تاريخهم الديني بحقبة هي الأقرب لعصر الرسالة المحمدية، على إن الروايات الأقرب للحقيقة هي انتقال الاسلام لهذه البقعة من الأرض عن طريق التجار الفرس والعرب وذلك في عهد اسرة تانغ(617-907)، وعلى الرغم من وجود حالة من الصراع بين الدولة العباسية والصين على عهد أسرة تانغ والتي اسفرت عن اندلاع معركة تالاس فان العلاقات بين الامبراطوريتين سرعان ما عادت لطبيعتها وأضحى هنالك تبادل للسفراء وتم أرسال معونة عسكرية من العراقيين والفرس لميناء كوانزو الصيني لإخماد تمرد أريد به تقويض حكم الامبراطور سو تسونغ في العام 756 م، كما أسفر التعاون بين الامبراطورية العباسية والصينية عن مواجهة الطرفين للهجمات التي يقوم بها سكان التبت ضد مسلمي آسيا الوسطى ولقد أرسل هارون العباسي(766-809) ما يشبه البعثة الدبلوماسية والتي عملت في مقاطعة جانغان.[1]

إن الأسباب التي دفعت بالمسلمين من عرب وغيرهم للتجارة مع الصين هي السياسة التي اتبعتها سلالة تانغ والتي كانت تنحو منحى عالمياً في تعاملها مع جيرانها

ولابد من القول إن الأسباب التي دفعت بالمسلمين من عرب وغيرهم للتجارة مع الصين هي السياسة التي اتبعتها سلالة تانغ والتي كانت تنحو منحى عالمياً في تعاملها مع جيرانها ولا سيما على حدودها الغربية الأمر الذي دفع بالتجار المسلمين للقدوم والاستيطان ومباشرة شبكة من العلاقات مع المجتمع الصيني ومن ثم العمل على نشر الإسلام.

استوطن المسلمون في غوانزو وشيدوا مسجداً عرف باسم مسجد هايسنغ، والذي تعرض لحريق أتى على مبانيه في العام 1314 ومن ثم أُعيد تشييده في العام 1349-1351، ولقد بقيت مئذنة المسجد شاهداً حتى هذه اللحظة على وجود مسجد للمسلمين في هذه المدينة، ولقد وصل التجار المسلمون إلى الصين متبعين طريق الحرير وكان لهم تأثير كبير على اقتصاد الصين إذ انهم هيمنوا على التجارة الخارجية في عهد سلالة سونغ (960-1279) كما أضحت مفاتيح الاستيراد والتصدير في الامبراطورية الصينية حكراً على المسلمين ولا سيما فيما يخص تبادل السلع من جهتي الجنوب والغرب.[2]

ولم يكن من المستغرب أن يقوم الامبراطور شين تسونغ في العام 1070 بدعوة ثلاثة الاف وخمسمائة شخص من بخارى للقدوم والاستيطان في الصين، ولقد أستعان الامبراطور بالمسلمين البخاريين من أجل تدبير أمور الحملة العسكرية التي قادها الامبراطور ضد امبراطورية لياو في الشمال الشرقي من البلاد، ولقد أستوطنت هذه الجالية البخارية المسلمة فيما بعد بين مدينتي سونغ ويوشينغ وهي إحدى ضواحي بكين الحالية وكان الهدف من استيطانهم إيجاد منطقة عازلة بين الصين ولاو، واما في العام 1080 فقد استوطن الصين ما يقارب عشرة آلاف عربي وجدوا في الأقاليم الشمالية والشمالية الشرقية من الصين موطناً لهم.[3]

وكان التأثير الذي تركه المسلمون على الصين في تلك الحقبة كبيراً ولا سيما في المجال العلمي فلقد اشتهرت كتب الشيخ الرئيس ابن سينا وكتابه المهم القانون في

(1) Jiang Yonglin, The Mandate of Heaven and The Great Ming Code, University of Washington Press,2011,pp:86-87
وللمزيد من التفصيل ينظر : Fredrick Wakeman,The Great Enterprise, California University Press,Volume 1,The Manchu Reconstruction in Seventh Century,1986,pp655:

(2) David Atwill, Chines Sultanet,Islam, Ethnicity,and the Panthay Rebellion in Southwest China,Stanford University Press, 2005,pp:55-56

(3) David Robinson ,Empire Twilight, Northeast Asia Under Mongols, Harvard University Asia Center, 2009,p:315

الطب كواحد من المراجع الاساسية والمهمة في الطب والعلاج في الصين.[4]

وخلال هذه الحقبة برزت شخصية قيادية مسلمة عدت بمثابة الشخصية الرائدة للمسلمين في الصين وهو الامير سعيد والذي عد بمثابة الأب الروحي للمسلمين في الصين وكان يمارس بطبيعة الحال جملة من المهام الإدارية والدينية وكانت العلاقة بين الامبراطورية الصينية والمسلمين تتجلى بالسماح للمسلمين والايغور بإدارة التجارة والتمثيل الدبلوماسي في البلدان المسلمة واحترام خصوصيتهم الدينية ولابد من التذكير بان الصبغة الاسلامية لمسلمي الصين قد تلونت في تلك الحقبة بصبغة فارسية وذلك لاستيطان عدد كبير من التجار الفرس في موانئ الصين ومنها ميناء كوانزو وهو الامر الذي جعل السُلطات الصينية تستخدم جملة من المصطلحات الفارسية لتدل على المسلمين وذلك لوجود اغلبية فارسية منهم في المدن الصينية ولقد كان للتجار المسلمين اليد الطولى في مساعدة اسرة يوان في فتح المناطق الجنوبية من الصين والتي بقيت على ولائها لاسرة سونغ، وبقيت الاسرة الحاكمة في الصين محتفظة بعلاقات ودية مع المسلمين من ايغور وغيرهم ومنحتهم جملة من الحقوق المدنية والعقائدية واضحى لهم القدح المعلى في مجال الإدارة والتجارة الخارجية والتمثيل الدبلوماسي بل تراجعت للخلف مكانة الكُتاب من اتباع الديانة الطاوية والكونفوشيوسية، وبدا المسلمون والايغور تحديداً بإدارة جوانب مهمة من جوانب الحياة السياسية والثقافية في الصين وللدلالة على هذه المكانة فقد حكم المسلمون من الايغور ثمان من اصل اثني عشر مقاطعة من مقاطعات اقليم يوان خلال الحقبة التي تسلم فيها قبلاي خان الحكم واما المقاطعات الاربعة المتبقية فقد عمل فيها المسلمون الايغور في وظيفة نائب الحاكم.[5]

وكانت العلاقة بين الامبراطورية الصينية والمسلمين تتجلى بالسماح للمسلمين والايغور بإدارة التجارة والتمثيل الدبلوماسي في البلدان المسلمة

بعد لأي من الزمن أجبرت الامبراطورية الصينية عدداً كبيراً من مسلمي آسيا الوسطى للاستيطان في الصين وأوفدت عدداً كبيرا من الصينيين للعيش في آسيا الوسطى كجزء من محاولة تغيير ديمغرافي في الامبراطورية المترامية الأطراف ولقد بلغ عديد المسلمين في الصين نحو اربعة ملايين نسمة في مطلع القرن الرابع عشر.[6] ولقد قدم احد علماء الفلك الفرس في هذه الحقبة واسمه جمال الدين للإمبراطور قبلاي خان جملة من الأدوات الضرورية في علم الفلك وكان أي اختراع أو تطوير لحقل من حقول المعرفة في العالم الاسلامي مدعاة لان تقوم الصين باستجلاب العالم الذي اخترع وطور هذه الالة أو تلك وحثه على العمل في الصين والاستفادة من خبراته وعلمه، كما برع المعماري المسلم أمير الدين في تصميم عاصمة سلالة يوان دادو.[7]

ولم يكن من الممكن ان تستمر الاحوال الهادئة والهانئة بالنسبة للمسلمين والايغور تحديداً فقد قاد المسلمون الفرس والايغور ثورة ضد السلطات القائمة في جنوب فيوجان، ولقد قمعت هذه الثورة بقسوة بالغة وأثرت على الوضع الخاص

(4) Angela Schottenhammer(editor), The East Asiancrossroads, Culture, Commerce and Human Migration, Harrassowitz Verlag Wiesbaden,2008,p:138

(5) Barbara L.K. Pillsbury (1981) Muslim history in China: a 1300-year chronology, Institute of Muslim Minority Affairs. Journal, 3:2, 1

(6) Hossisa Ali Exhibition: Islam in Asia: Diversity in Past and Present: The Silk Road & Islam Spread, Cornell University, 2019,pp:9-11: ,

(7) Reid, Anthony (2015). A History of Southeast Asia: Critical Crossroads. Blackwell History of the World. John Wiley & Sons. p. 102

بالمسلمين بشكل كبير، وتراجعت بعد هذه الثورة وإلى حد كبير مكانة ميناء كوانزو كميناء رئيسي ومهم في الحياة الاقتصادية الصينية.[8]

ولقد تراجع ومنذ تلك الحقبة العصر الذهبي للمسلمين في الصين وذلك بعد أن بدأ الخطر المغولي يهدد الصين وآسيا برمتها فمع قيادة **جنكيز خان** لجحافل من القبائل البدائية والرعوية وهيمنته على عاصمة الامبراطورية الصينية بدأ بالتضييق على كل من المسلمين واليهود وذلك عن طريق منعهم من تأدية الطقوس الخاصة بالختان وكذلك الذبح الإسلامي واليهودي ودفع معتنقي الدينيين لأداء طقوسهم سراً، ولقد عدهم عبيد ارقاء للجيش المغولي، ولقد أدى الفساد والاضطهاد الذي عانى منه المسلمون والايغور بنحو خاص في تلك الحقبة إلى اتباع المسلمين وسائل عنيفة للحصول على حقوقهم وهو الأمر الذي دفعهم للثورة واقتدى بهم الصينيون الكارهين للهيمنة المغولية حتى إن مؤسس اسرة مينغ زهاو يونازونغ استعان بعدد كبير من القادة المسلمين في حربه ضد المغول الامر الذي مكنه من دحر المغولً وتحرير الاراضي الصينية وهو ما جعل الصينين يعرفون الايغور والمسلمين في الصين باسم القِلاع لشدة مراسهم في الحرب ومقارعة الهجمة المغولية.[9]

تراجع ومنذ تلك الحقبة العصر الذهبي للمسلمين في الصين وذلك بعد أن بدأ الخطر المغولي يهدد الصين وآسيا

هنا يمكن القول إن العلاقة بين المسلمين والأباطرة الصينيين كانت تتأثر ولحد كبير بالموقف الشخصي للإمبراطور من ظاهرة التعدد الديني في البلاد ومن المواقف التي تمر بها البلاد من هجمة أو غزو خارجي يقتضي توحيد جميع الجهود لمواجهة هذا الغزو وبالتالي لم تتبلور حتى تلك الحقبة نظرة موحدة او موقف موحد تجاه التعامل مع المسلمين بحيث يمكن القول بآن مثل هذا الموقف كان موقفاً ثابتاً وموحداً لحد كبير.

ومع استيلاء سلالة يًوان على الحكم أي في مطلع القرن الرابع عشر بدأ نظام الحكم باتباع سياسات معادية للمسلمين وبدأت الحقوق والامتيازات التي كانوا يتمتعون بها سابقاً بالاختفاء والتلاشي ولقد تم في العام 1340 اجبارهم على اتباع التعاليم الكونفوشيوسية ولاسيما في مجال طقوس الزواج وفرض على رجال الدين المسلمين منذ العام 1340 دفع ضرائب كونهم يمثلون ديناً أجنبياً وفد إلى الصين وقد تم تقليص السلطات والصلاحيات التي يتمتع بها القضاة المسلمين وهو الأمر الذي دفع المسلمين للانتفاض واعلان الثورة ابتداء من الاعوام 1307-1367، وكانت كوانزو هي ميدان هذه الانتفاضات والثورات والتي لم يكتب لها بأي حال من الاحوال النجاح والاستمرار وذلك لأسباب تتعلق بالانقسامً والتناحر داخل صفوف قياداتها وهو الامر الذي مكن القوات النظامية الصينية من محاصرتها ومن ثم دحرها.[10]

تم تقليص السلطات والصلاحيات التي يتمتع بها القضاة المسلمين وهو الأمر الذي دفع المسلمين للانتفاض واعلان الثورة

ولم يكن الايغور في تلك الحقبة بعيدين عن الاحساس بالغبن والاضطهاد الامر

(8) Robinson, David M. "Eight The Ming Court and the Legacy of the Yuan Mongols" (PDF). Culture, Courtiers and Competition: The Ming Court (1368–1644). Harvard University Asia Center. p. 384

(9) LOS Angles Times,-June,23,2008..9 L Tibet-an-Muslim tensions roil China,. BARBARA DEM-ICK

(10)SINO-PLATONIC PAPERS, October,2000,pp:14-16 Toh Hoong Tei,

الذي دفعهم للانتفاض وذلك في العام 1765 وذلك بعد تعرض إحدى النساء الايغوريات للخطف من لدن حاشية حاكم الولاية وبدلاً من ان تعالج السلطات الرسمية حادث الاختطاف بروية وتعقل اتهمت المسلمين بإثارة القلاقل والفتن الامر الذي جعل الامبراطور يصدر امراً يقضي بإعدام كل الرجال المسلمين في القرية التي اختطفت فيه الفتاة المسلمة واسْترقاق النساء والاطفال.[11]

(11) ,James Millward, Beyond pass, Economy, Ethnicity, and Empire in Qing Central Asia,1759-1864,Stanfored University Press,1998,pp:220-221

بدأ المسلمون في الصين ومع تسلم سلالة (Qing) أو تشينغ[12](1644-1912) والتي كانت أخر سلالة ملكية حاكمة بتلمس معالم هويتهم كمواطنين صينيين ومسلمين في ذات الوقت ولقد رسخت هذه السلالة حدود الصين سياسيا وعدت هذه الحدود بمثابة حدود مقدسة غير قابلة للتجزئة أو التقسيم وفي ظل هذه السلالة نمت القواعد الأساسية لتعامل جهاز الحكم الصيني مع الاقليات العرقية والدينية.

نمت في أواخر القرن التاسع حركتين إسلاميتين ظهرت الأولى منهما في الجزء الشرقي من البلاد في حين ظهرت الثانية في الأجزاء الشمالية الغربية،

ومع الحقبة الملكية الاخيرة نمت طبقة متنورة وحداثية مسلمة وصفت بالاعتدال ضمت المثقفين ورجال الدين والتجار ورجال الأعمال وأمراء الحرب من زعماء التجمعات القبلية والموظفين الحكوميين سعت إلى ربط الاسلام مع القيم الحديثة مثل الإيمان بوجود دستور ينظم الحياة السياسية للبلاد والسعي للدخول في حلبة التطور الصناعي والزراعي والاقتصادي ونمو الروح القومية التي تعلو على الانتماء الديني.

(12) مزيد من التفاصيل عن سلالة تشينغ الحاكمة، ينظر: Richard Smith, Qing Dyansty and Traditional Chinese Culture, Rowmany& Littlefield, Maryland,2015,pp62-50:

لقد نمت في أواخر القرن التاسع حركتين إسلاميتين ظهرت الأولى منهما في الجزء الشرقي من البلاد في حين ظهرت الثانية في الأجزاء الشمالية الغربية، وكانت كل واحدة منهما مختلفة عن الاخرى في طروحاتها الفكرية وتطلعاتها وعلى الرغم من أن كلاهما استندا على المناداة بالعودة للقران الكريم والسنة النبوية الشريفة إلا انهما اختلفا في كيفية التعامل مع هذه الاصول الدينية وفي التأثر بمعطيات الثقافة الصينية بشكل خاص والحياة العصرية بشكل عام، وكانت الحركة الإصلاحية التي نشأت في الجزء الشرقي من البلاد أكثر تأثراً بالخط السلفي الذي يقوم على استلهام نصوص القرآن الكريم والسنة بدون أي إضافة من لدن الشيوخ ومحاولة تطهير العادات والتقاليد الاسلامية من أي مؤثرات خارجية وفي الوقت الذي كانت فيه المدرسة الاولى تسعى لانخراط المسلمين في البلاد بإجراءات التحديث والتمدن كانت الحركة الثانية أكثرُ ميلاً للانغلاق ومعاداة الآخر المختلف وتبني مفهوم الامة الاسلامية الذي يعلو على اي انتماءات وطنية أو قومية ضيقة، ولقد مهدت هذه المدرسة لظهور جماعات سياسية اسلامية متطرفة شكلت فيما بعد امتداداً لحركة الاخوان المسلمين وبدأت بتحشيد قدراتها التنظيمية والتي غدت عسكرية في حقبة الاربعينات وبرزت بشكل واضح أثناء مرحلة الاحتلال الياباني للبلاد ، ومثل هذا التوجه المعادي للآخر انعكس فيما على الموقف الذي تبناه الايغور والحركة

بدت الحركة الاسلامية المتنورة أكثر تأثيراً في مجال نشر التعليم الاسلامي في الصين

الاستقلالية التي تبنوها من اجل الانفصال عن الصين منذ منتصف القرن العشرين.

على الرغم من وجود مدرسة إقصائية للآخر بدت الحركة الاسلامية المتنورة أكثر تأثيراً في مجال نشر التعليم الاسلامي في الصين، و عدت هذه الحركة الاسلامية المتنورة في الصين بمثابة امتداد للحركة الاسلامية التحديثية التي كانت بذور أفكارها قد نمت منذ منتصف القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين وادت إلى جملة من التطورات السياسية والاجتماعية في العالم الاسلامي، وبالإضافة إلى تبني القيم الحديثة سعى المسلمون في الصين إلى تبيئة شروط الاندماج بالدولة الصينية الحديثة وكان التحول من النظام الامبراطوري إلى النظام الجمهوري في العام 1911 فرصة مناسبة لإيجاد خيارات أكثر عقلانية ساعدت المسلمين لان يكونوا مواطنين فاعلين في الحياة السياسية الصينية، وكانوا جزءا من تحالفات الصين مع بعض بلدان العالم الاسلامي.

وكان ترويج المدرسة الحداثية في الاسلام لمبادئ التعليم الحديث يعني اكتساب المسلمين للمعارف والعلوم الحديثة وعدم الانسلاخ في ذات الوقت عن هويتهم الدينية على ان تكون هذه الهوية الدينية مبنية على قراءة معمقة بشكل فردي للموروث الديني دون التمسك بأي اضافات من لدن شيوخ الدين في عصور خلت، وهو ما يعنيه التخلي عن القيم البالية والمتخلفة واكتساب هوية مسلمة منفتحة على المعارف والعلوم الحديثة والانخراط في بناء الهوية الوطنية الصينية.[13]

لقد شجعت بعض السياسات التي تبناها الاباطرة المتأخرون وكذلك مؤسسو الجمهورية الفتية المسلمين على البروز ككيان مستقل وجاء ذلك بعد انتشار القيم السياسة الحديثة والتي بدأ المسلمون في الصين بتبنيها إذ أعدوا أنفسهم للمطالبة بصين حرة يتمتعون فيها بشروط المواطنة الكاملة.

ولم يكن من المستغرب بعد أن تم الاعلان عن تأسيس الجمهورية الصينية أن يقوم قادة الجمهورية بالإعلان على إن كل ابناء القوميات الخمس المؤلفة للشعب الصيني وهم الهان والهوي(المسلمين) والمنغول والمانشو والتبتيين يتمتعون بحقوق وحريات متماثلة كونهم مواطنين في بلد واحد ولقد كان قادة الجمهورية قد عدوا المسلمين بمثابة قومية واحدة او مجموعة عرقية واحدة وهو الأمر الذي يُعد بمثابة مغالطة ذلك ان المسلمين ينقسمون لمجموعتين هما (Hui) والايغور، والايغور مختلفين عرقيا ولغويا عن الهوي في حين سعى المسلمين من المجموعة الاولى لعد أنفسهم ممثلين عن كل مسلمي الصين، وحتى عندما تشكلت الرابطة الاسلامية التقدمية في العام 1912 من لدن عدد من أمة المساجد في بكين وكانت أول جماعة تدعي تمثيل كل المسلمين في الصين واشترطت على قادة الايغور وزعاماتهم القبول بقيادة مسلمي(Hui) للرابطة، وكانت الفكرة الاساسية التي تؤمن بها الجمعية هي الايمان بمثل ومبادئ الجمهورية وبضرورة ايمان المسلمين بهويتهم الوطنية كصينيين.

والايغور مختلفين عرقيا ولغويا عن الهوي في حين سعى المسلمين من المجموعة الاولى لعد أنفسهم ممثلين عن كل مسلمي الصين

(13) Dru Gladey. "Making Muslims in China: Education, Islamization, and Representation". In China's National Minority Education: Culture, State Schooling and Development. Gerard A. Postiglione, ed., New York: Garland Press, 1999, 55-87.

ومثل هذه الحوادث تكررت وهو ما جعل مشاعر الايغور متقدة دائماً ضد السلطات الصينية.

ولم يكن حال المسلمين الايغور ومسلمي الصين بشكل عام في بداية تأسيس الجمهورية الصينية بأفضل حال من العيش في ظل حكم الاباطرة ولقد انقسم المسلمون بين مؤيد للنظام الجمهوري والذي وضع اسسه سن يات سن(1866-1925) في العام 1911والذي لقي ترحاباً وتأييدا من المسلمين ذوي النزعة الثورية في حين بقي المحافظون يميلون لحكم الاباطرة من اسرة تشينغ، لقد أعلن سن منذ الخطوات الاولى لإعلان الصين جمهورية بان كل مواطن صيني يولد بحقوق متساوية سواء كان من الهان أو الهوي أو المسلمين او المينغ والتي تعني شعب المغول وكذلك شعب التبت، ولقد أدت مثل هذه الروح إلى تحسن في العلاقات بين مختلف شعوب الصين ونهاية سلالة زينغ وزيادة في اطر العلاقات بين الشعب الصيني ومختلف شعوب العالم الامر الذي كان شبه مغلقاً او مقيداً لدى السلالات الحاكمة السابقة، ومع فتح الأبواب المغلقة لسور الصين زادت صلات الوصل بين مسلميها ومسلمي العالم ولا سيما منطقة الشرق الاوسط وزادت الفرص المتاحة للمسلمين للسفر للديار المقدسة بقصد الحج بين عامي 1923 وحتى العام 1939 كما درس ما يقارب 33 طالباً صينياً في الازهر الشريف وتأسست في العام 1912 عصبة الاتحاد الاسلامي الصيني في بانغ ومن ثم افتتحت فروعاً لها في بكين في العام 1922 ومن ثم شنغهاي في العام 1925.[14]

وتطورت العلاقات الثقافية والاكاديمية بين مسلمي الصين وبلدان العالم الاسلامي فلقد تأسست أكثر من دورية اسلامية وما يزيد عن(100) جريدة ذات طابع اسلامي في الحقبة الممتدة بين عامي 1911 وحتى العام 1937، وعلى الرغم من انَ لينيزيا بقيت مركزاً للفاعليات والنشاطات الدينية فان المسلمين بدأوا بنقل نشاطاتهم الثقافية لبكين.[15]

ولقد قدر عديد المسلمين في الصين في مطلع القرن العشرين بحوالي 20 مليون مسلمٍ صيني، و واجه المسلمون والايغور كما واجه الشعب الصيني برمته مرحلة سوداء بعد العام 1939 وذلك حينما غزت القوات اليابانية البلاد والتي اتبعت سياسة الارض المحروقة وسعت لتدمير عدد كبير من الشواخص الحضارية في الصين ومنها مساجد المسلمين حتى وصل عدد المساجد التي دمرها الاحتلال الياباني لنحو(220) مسجداً وتم قتل عدد كبير من المسلمين من المتعاونين والمشاركين في عمليات المقاومة الشعبية، لقد دفعت ظروف الاحتلال الياباني اعداداً كبيرة من المسلمين لان يكونوا مهاجرين ومطاردين في بلدهم بعد فقدانهم المأوى والمسكن والعمل، ولعل ما كان أفظع وأبشع بالنسبة للمسلمين هو اجبارهم على امتهان اعمال تتناقض تماماً مع التزامات الشريعة الاسلامية فلقد احيلت المساجد

قدر عديد المسلمين في الصين في مطلع القرن العشرين بحوالي 20 مليون مسلمٍ صيني

(14) Jonathan Lipman Familiar Stranger, History of Muslims in Northwest China, University of Washington Press,1997,pp:265-266,

(15) Ibid

لاماكن يتم في داخل أروقتها ذبح الخنازير واستغلال ما لدى المسلمين من ماشية لإطعام جنود الاحتلال واجبار الفتيات على ممارسة البغاء مع الجنود أو خدمتهم في الثكنات العسكرية، ولقد أدت مثل هذه الافعال الشنيعة إلى زيادة رغبة المسلمين في الانخراط في صفوف المقاومة الشعبية والتصدي لقوات الاحتلال ولقد لعب قادة مسلمون دوراً كبيراً ومؤثراً في قيادات الجيش الصيني الوطني واحراز انتصارات في المناطق ذات الاغلبية المسلمة والتي وجدوا فيها بطبيعة الحال قدراً كبيراً من التأييد والمساندة المادية والمعنوية، ولم يكن من المعقول ان يقف المسلمون باختلاف انتماءاتهم العرقية مع القوات الشيوعية التي كان يقودها ماو تسي تونغ إذ كانت مشاعرهم مع قوات الكومنتانج وحكومة الصين الوطنية واستهل المسلمون ومنهم الايغور علاقتهم مع الشيوعيين بجملة من الانتفاضات التي كانت تهدف لعرقلة المسيرة الشيوعية في السيطرة على الاراضي الصينية وذلك ابتداء من العام 1935 وحتى العام 1950.[16]

لعب قادة مسلمون دوراً كبيراً ومؤثراً في قيادات الجيش الصيني الوطني واحراز انتصارات في المناطق ذات الاغلبية المسلمة

(16),Edward Rhoads, Manchu and Han, Ethnic Relations and Political Power in late Qing dynasty and early Republic in China1861-1928, University of Washington press,2000,pp:192-195

لقد نمت قبل تأسييس جمهورية الصين الشعبية واستيلاء الحزب الشيوعي على الحكم جملة من العلاقات بين المسلمين والشيوعيين، ولعل من الضروري التوقف لديها قبل التعرض لموقف الحكومة الشيوعية من المسلمين بعد العام 1949.

لم يكن الحزب الشيوعي الصيني ولا الحركة الشيوعية في الصين على علاقة وطيدة مع الجماعات العرقية التي تشكل مجموع الشعب الصيني قبل تأسيس الجمهورية الشعبية ولقد اعلن الجيل الاول من قادة الحزب امثال جين دايزو(1879-1914) تمسكهم بالمبادئ اللينينية الخاصة بالتعامل مع القوميات ومنها الايمان بحق تقرير المصير حتى بالنسبة للجماعات القصية ومنها المنغوليين، ورسخ الحزب الشيوعي الصيني في مؤتمره الثاني والمنعقد في العام 1922 مبدأ احترام حقوق الجماعات القومية التي يتكون منها المجتمع الصيني وهم المغول والتبتيين والمسلمين والاعتراف بها كقوميات منفصلة وضمان ان يتمتعوا بحكم ذاتي في ظل وجود حكم اقطاعي صيني.

لم يكن الحزب الشيوعي الصيني ولا الحركة الشيوعية في الصين على علاقة وطيدة مع الجماعات العرقية التي تشكل مجموع الشعب الصيني

ولكن برزت فيما بعد أفكار وطروحات (لي داز هاو)(1888-1927)وهو أحد اباء الماركسية الصينية والذي دعا لاتباع سياسات أكثر استيعاباً للاختلافات القومية إذ آمن بضرورة وجود روح قومية صينية شاملة في التعامل مع الاختلافات العرقية أو الدينية الموجودة في البلاد لقد آمن وعلى نحو لا يتسرب اليه الشك بضرورة تأسيس نظام سياسي جمهوري وديمقراطي يضم كل الاعراق والجماعات القومية الموجودة في الصين والذين يؤلفون امة متجانسة موحدة، وهذا يستدعي بالنسبة اليه ضرورة اتحاد القوميات الخمس التي تشكل مجموع الشعب الصيني وعلى الارض التاريخية التي شكلت امبراطورية سلالة(Qing) تشينغ وكان وجود المسلمين ضمن هذه القوميات الخمس يمثل قضية شائكة بالنسبة لمثقفي الحزب الشيوعي

فمصطلح(Hui) يشير غالباً إلى المسلمين الموجودين في اقليم جيانج الجنوبي وهو ذات المفهوم الذي استخدمه سن يات سن في اشارته إلى المسلمين كأحد القوميات التي تؤلف مجموع الشعب الصيني.

لقد دلت الوقائع التاريخية على أن ما يندرج ضمن وصف الصينيين المسلمين(Hui) والذين يقطنون في الجزء الشرقي والجزء الجنوبي الغربي من الصين لا ينتمون إلى ما يطلق عليه اسم(Hui) إذ طور هؤلاء المسلمون في العقود الاولى من تأسيس الجمهورية سردية أثنية لتاريخهم ولمجتمعهم وشيئاً فشيئاً بدأوا يعدون أنفسهم كقومية مستقلة تعرف باسم(Huizu) وبدأ خطباء المساجد والائمة والمؤرخين برسم معالم مجتمع قومي منفصل ومستقل عن باقي الجماعات المسلمة الأخرى، وترك الخلاف حول تحديد انتماء مسلمي الصين لجماعة قومية أو انتماءهم للعرق الصيني السائد تأثيرات على الصراع الذي تلى وفاة مؤسس الجمهورية بين حزب الكومنتانج بقيادة تشاي كاي شيك(1887-1975) والحزب الشيوعي الصيني.

بقي الحزب الشيوعي الصيني في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الاولى مؤمناً بان الوجود الاسلامي في الصين والقضية الاسلامية تمثل واحدة من القضايا الشائكة التي تواجه البناء القومي في البلاد ولم يكن لدى الحزب أو مثقفيه دراية واسعة بالانقسامات الموجودة لدى المسلمين من الناحية العرقية أو المذهبية ولم يتم التمييز بين الدين والعرق بالنسبة لمسلمي الصين سواء في المؤتمر الذي عقده الحزب في موسكو في العام 1928 او في تبنيه لدستور العام 1931والذي ربط فيه بين قومية(Hui) والدين الاسلامي وكان موقفه يعكس عدم احتكاكه تماماً مع المسلمين كوجود بشري أو فكر ديني أو معتقد.

بدأ الشيوعيون يشعرون بضرورة التعامل والتفاعل مع قضايا المسلمين في الصين سيما بعد أن اضطرتهم ضربات حزب الكومنتانج الموجعة للتراجع للحدود الجنوبية للبلاد وهو ما جعلهم في تماس مباشر مع المسلمين لأول مرة واضحت القضية الاسلامية ومشاكل المسلمين تحظى باهتمام الشيوعيين وقادة الحزب، وفي الوقت الذي كان فيه الحزب يرى بان عقائد القبليين في الجزء الجنوبي الغربي من البلاد ليست سوى مجموعة من الخرافات والاساطير، فانه واجه مع المسلمين عقيدة توحيدية ودياناً ابراهيمياً وحينما اجتازت القوات الشعبية مناطق المسلمين في ميناء كوانزو (وزيناهي) أصدر الحزب جملة من التعليمات التي أراد منها ضمان حصوله على تعاطف المسلمين وتأييدهم للحزب وكفاحه السياسي وعرفت هذه التعليمات باسم توجيهات للعمل السياسي في المناطق المسلمة، وتم وضع برنامج العمل هذا في ايلول من العام 1935، ولقد وجه البرنامج القيادات الشيوعية بالتفاوض مع ائمة المساجد وتبيان ان القوات الشعبية ترمي لتحرير البلاد من اليابانيين وامرت اعضاء الحزب باحترام المسلمين وعقائدهم الدينية وتقاليدهم

بدأ الشيوعيون يشعرون بضرورة التعامل والتفاعل مع قضايا المسلمين في الصين

الاجتماعية وطقوس حياتهم الخاصة ومنعت افراد الجيش الشعبي من الدخول للمساجد او مس نسخ القرآن الكريم وتحريم أكل لحم الخنزير في قرى المسلمين والعمل على الترويج لمبدأ المساواة بين مختلف قوميات ومكونات الشعب الصيني وهو ما يدل على أن الحزب الشيوعي عامل المسلمين كقومية، وطالب اعضائه باحترام مبدأ الملكية الخاصة للتجمعات المسلمة في البلاد، وتجنب العمل على انشاء مجلس سوفييت لأي مدينة أو اقليم تدخله قواته متجنباً اثارة المشاعر السلبية للمسلمين بشأن تجريدهم من ملكياتهم او اقامة نمط انتاجي على الطراز الشيوعي، لقد آمن الحزب بان معاملة المسلمين كمجموعة اثنية سيؤدي لتعاطف كبير مع الحزب وكفاحه السياسي ولكن أثبتت الحوادث التاريخية بان جهود الحزب هذه لم تأت بنتائج مثمرة فقد بقي المسلمون يرون في الحزب بأنه حزب الحادي تتناقض مبادئه مع العقيدة الاسلامية وان جل ما يفعله أو يدعيه من احترام للعقيدة الاسلامية انما هو وسيلة مرحلية ترمي للحصول على تعاطف المسلمين ليس إلا، إذ كان الحزب وقواته الشعبية ترى في المسلمين لا سيما في اولئك القاطنين في الجزء الشمالي الغربي من البلاد مقاتلين اشداء بإمكانهم تغيير مسارات ونتائج الحرب إذا ما وقفوا مع الشيوعيين في حين كانت مشاعر المسلمين تتجه نحو تأييد الحزب الوطني وقواته وهو ما شكل هاجساً مخيفاً امام الشيوعيين وعرقل تقدمهم نحو الاجزاء الشمالية من البلاد.[17]

أن الحزب الشيوعي عامل المسلمين كقومية، وطالب اعضائه باحترام مبدأ الملكية الخاصة للتجمعات المسلمة في البلاد

(17) Lipman, Jonathan , Familiar Strangers. A History of Muslims in Northwest China, Seattle, University of Washington Press,1997,p:144

وعلى الرغم من هذه النتائج المحبطة لآمال الحزب الشيوعي وقادة الجيش الشعبي فان امالهم بان يقف مسلمو الصين إلى صفهم لم تفتر أبداً وعلى هذا الاساس فقد وعد الحزب المسلمين من (Hui) بمنحهم منطقة حكم ذاتي تتبع لها أي منطقة محررة يتواجد فيها المسلمون في الاقاليم الشمالية والغربية وعدت مثل هذا الوعد بمثابة تحفيز للمسلمين لمواجهة قوات الحزب الوطني والقوات اليابانية التي تحتل البلاد، وضمن الحزب في الوقت ذاته بان يكون مشروع الحكم الذاتي هذا جامعاً لكل الطبقات والفئات التي يتكون منها المجتمع المسلم ومنها التجار ورجال الدين والمحاربين أي لم يقصره على العمال والفلاحين استجابة منه للأوضاع الاجتماعية السائدة في المجتمع المسلم في تلك الحقبة، وبدأ الحزب ولأول مرة بتشخيص العناصر المسلمة المتعاونة معه والعناصر التي عدها بمثابة قوى رجعية معارضة لأفكار وتطلعات الحزب والحركة التقدمية بشكل عام، وقدم الحزب توجيهات تسعى لان تكون خطب صلاة الجمعة أكثر توجها نحو التحرر واقحام موضوعات سياسية تصب في نهاية المطاف لمصلحة الحزب وحربه ضد القوى الرجعية وهو ما شكل بداية لتدخل حزبي في شؤون دينية ترسخ فيما بعد حينما هيمن الحزب والفكر الشيوعي على مقاليد الحياة السياسية والثقافية في الصين.

ولم ينس مؤسس الصين الحديثة ماو تسي تونغ(1893-1976) اثارة مشاعر المسلمين والتودد لهم وذلك في الخطاب الذي ألقاه في ايار من العام 1936 حينما دعاهم كأخوة أحباء إلى استلهام الانموذج التركي كبلد مسلم يسير في طريق الحداثة والتقدم وانهم كمواطنين صينيين يواجهون خيارين اما الموت وهو الخضوع والاستسلام لإرادة الامبريالية العالمية او النصر وهو ما يعني العيش بظل حياة تقوم على العدالة والحرية والاستقلال الكامل، ولقد خاطب ماو المسلمين بصفتهم القومية(Hui) وهو ما يؤشر فشل القيادة الشيوعية وعلى اعلى المستويات في إدراك تكون المسلمين في الصين من مجموعات عرقية ولغوية مختلفة ومتنوعة بل ان ماو خاطب المسلمين في العالم بالصفة القومية الصينية وعدهم واحداً من الشعوب المقهورة والمضطهدة في العالم.[18]

مزيد من التفصيل حول (18) حياة وأفكار ماو تسي تونغ، ينظر: Jonathan Fenby, Modern China, The Fall and Rise of Great Power,1850 to present,pp200-195:

وعلى الرغم من كل هذه الجهود التي بذلها الحزب الشيوعي وقيادته فانه لم يتمكن من الحصول على تأييد عدد كبير من المسلمين حتى لفكرة منحهم حكماً ذاتيا في الأجزاء الشمالية الغربية من البلاد، ويبدو إن قيادة الحزب الشيوعي لم تستطع إدراك التطلعات الحقيقية للمسلمين من قومية(Hui) فلم يكن الحكم الذاتي على أسس جغرافية مما يستهويهم أو يدور بأذهانهم ذلك أنهم احتفظوا وعلى الدوام بعلاقات اقتصادية وثيقة مع المحيط المجاور لهم رغم كل الاختلافات الدينية والعرقية بل كانوا هم المهيمنين في هذه العلاقات والروابط، وجل ما كانوا يرومون لتحقيقه هو الاستقلالية الثقافية بمعنى ان تتم صيانة حقوقهم الثقافية والدينية.

دفعت شراسة الاحتلال الياباني و وحشيته الشعب الصيني بجميع تياراته السياسية إلى توحيد الصفوف والتجاوز عن الاختلافات السياسية والعقائدية

دفعت شراسة الاحتلال الياباني و وحشيته الشعب الصيني بجميع تياراته السياسية إلى توحيد الصفوف والتجاوز عن الاختلافات السياسية والعقائدية وتم تشكيل جبهة موحدة في العام 1937 تواجدت فيها القوى الشيوعية مع القوى الاسلامية والقوى الوطنية ولعبت الجبهة الاسلامية للخلاص الوطني دوراً رئيسياً ومحورياً في تحشيد القوى الصينية بمختلف انتماءاتها من أجل مواجهة الاحتلال الياباني وكان المسجد الخاص بمدينة ياونان الذي اضحى مقر عمليات جبهة الخلاص مقراً للقاء عدد كبير من القيادات الصينية ومنهم ماو تسي تونغ نفسه واصبح امام المسجد شاي دانغ شاو(1887_1951) مسؤولاً عن الخدمات الدينية في الجبهة المتحدة التي ضمت اليساريين والقوميين ولقد عرف هذا الامام باسم الامام الاحمر لآنه تولى في السنوات التالية مهمة الترويج للفكر اليساري وأصبح منسجماً مع خط الحزب الشيوعي الصيني، وامتدح السياسات التي كان الحزب يسعى لتحقيقها في المناطق ذات الغالبية المسلمة، ورغم ذلك فلم يلقى ترويجه لقضية الحكم الذاتي تأييداً كبيرا من المسلمين ذلك انه لم يكن يحظى أصلا بمكانة علمية كبيرة وسط شيوخ الاسلام فضلا عن أن يوانان لم تكن مقصداً لعدد كبير من المسلمين في الصين، رغم انها غدت بعد لأي من الزمن بمثابة محجة لعدد كبير من المفكرين

والمثقفين المنشقين عن الخط السياسي العام الذي حاول رسمه الحزب الشيوعي الصيني في المناطق المسلمة.[19]

الحقبة الشيوعية:

تم الاعلان عن تأسيس جمهورية الصين الشعبية وتحت مظلة الحزب الشيوعي الصيني في العام 1949 وكانت بداية الافتراق بين المسلمين ومنهم الايغور والحكم الشيوعي مع بدايات الاعلان عن الثورة الثقافية والتي أراد بها الحزب الشيوعي تدشين مرحلة جديدة من الافكار والمعتقدات التي يفترض أن تسود في المجتمع الاشتراكي وكانت العقبة الكؤود في نظر الحزب وجود جملة من المعتقدات الدينية ومنها بطبيعة الحال المعتقدات الاسلامية والتي تعد بمثابة معتقدات خرافية ذات صلة بمرحلة طفولة الجنس البشري، ولقد عدت مرحلة الثورة الثقافية بمثابة عقد أسود في تاريخ المسلمين في الصين فلقد تم تهديم عدد كبير من المساجد والمراكز الثقافية الاسلامية وكذلك الحال مع الكنائس والمعابد البوذية، واحرقت نسخ قديمة ونادرة من القرآن الكريم، وهو الامر الذي دفع المسلمين الايغور للانتفاض ضد الحكومة المحلية الشيوعية وكانت ثورتهم بمؤازرة باقي مسلمي الصين ولقد قمع الجيش الاحمر هذه الانتفاضة بشدة وقسوة متناهية إذ قتل ما يقارب الالف وستمائة مسلم وأبيد سكان قرى بأكملها، وبعد سقوط ما عرف باسم عصابة الاربعة قدمت السلطات الصينية اعتذاراً للمسلمين وابناء القرى التي ابيد عدد كبير من افرادها.[20]

دخلت العلاقة بين الحكومة الصينية والمسلمين مرحلة جديدة بعد العام 1978 أي بعد اتباع الحكومة سلسلة من الاصلاحات الاقتصادية والسياسية التي أريد منها التخفيف عن كاهل الشعب بقومياته المختلفة والتعويض عن المآسي التي رافقت العشرية السوداء الملازمة للثورة الثقافية، وكان من بين هذه الاصلاحات اتباع نوع من المزج بين الاجراءات الرأسمالية والاشتراكية والتي افرزت الغاء الدعم الصحي والذي انتقده مسلمو الايغور بشكل كبير وذلك لانهُ يحرمهم من الحصول على عناية صحية كافية سيما وان تركستان الشرقية تعد بمثابة منطقة نائية وحدودية ومن الصعب وصول خدمات صحية كافية ولازمة لأبنائها. ومع وصول دينغ زهاو بينغ(1904-1997) لرئاسة الحكومة الصينية في العام 1979 بدأت الحكومة باتباع إجراءات أقل تشدداً في التعامل مع الاختلافات العرقية وتم لأول مرة في ظل حكومة شيوعية احترام الخصوصية الدينية للمسلمين، فقد سمح لهم استخدام لغتهم الخاصة وتطوير تراثهم الثقافي وفنونهم التي اشتهروا بها، وممارسة عقديتهم بحرية، أي تطوير هويتهم الثقافية بمعزل عن الهوية الجمعية الشمولية التي حاولت الحكومة فرضها قبل عقدين من الزمن.

دخلت العلاقة بين الحكومة الصينية والمسلمين مرحلة جديدة بعد العام 1978 أي بعد اتباع الحكومة سلسلة من الاصلاحات الاقتصادية والسياسية

ولابد هنا من القول أن الحكومة الصينية بدأت منذ منتصف الثمانينات باتباع سياسة معتدلة مع مسلمي الصين بشكل عام آخذةً بنظر الاعتبار الانحدار العرقي

(19) ,Wlodzimierz Cieciura, The Crescent and the Red Star,.Hui Muslims and Chines Communism, in Historical Perspective, Ročník IV / číslo 1 / 2014,pp:10-12.

(20) للتفصيل ينظر: Michael Dillon,Xinjiang, China Muslims far Northwest, New York, Routledge Cruzon,2004,pp:77-81

واللغوي لهم فلم تكن الطقوس الدينية او التعليم الديني ذو خطر على السلطة ما لم يلازمه رغبة حثيثة بالانفصال السياسي او تحوير الشعارات الدينية لغطاء لأهداف سياسية.

ولابد من القول إن الحكومة الصينية قد اتبعت طبقاً لمثل هذا التمييز مناهج وأساليب مختلفة للتعامل مع الايغور مقارنة بباقي مسلمي الصين ويعود بذلك بدرجة كبيرة لكون المطالب الخاصة بالايغور لا تندرج باطار المطالب الدينية البحتة وانما ترتبط برغبة حثيثة بالانفصال وتكوين دولة مستقلة، ولقد ظهر مثل هذا التمايز في التعامل حتى عندما ظهر كتاب تم فيه انتقاد طقوس الزواج وتقاليده عند المسلمين عاملت السلطات الصينية المسلمين من غير الايغور بشفافية في الوقت الذي اعتقلت فيه الناشطين من الايغور الذين تظاهروا لذات السبب، وبذلك حاولت السلطات الصينية إظهار تعاملها مع المسلمين على انه تعامل قائم على احترام الخصوصية الدينية لهذه الفئة من الشعب الصيني، واحيانا اللعب على وتر التمييز بين المسلمين(Hui) من جهة والمسلمين الايغور من جهة أخرى، والذين كانت علاقتهما يشوبها قدر كبير من عوامل الكراهية والرغبة بالانتقام، حتى أنها ميزت المسلمين (Hui) بمزايا دفعت لزيادة نموهم السكاني مقارنة بالايغور إذ بلغ عند(Hui) حوالي 4,4% سنوياً في الوقت الذي كان فيه لدى الايغور1,7%، ولقد ولدت هذه الزيادة السكانية لدى المسلمين من غير الايغور عوامل من الحنق والكراهية بين الايغور وغيرهم من مسلمي الصين والتي لم تكن أصلاً بدون وجود مقدمات تاريخية، إذ لم ينسَ الايغور الدور الذي لعبه الهو المسلمين في معركة كاشغر في العام 1934 حينما قاموا بقتل 8,000_2,000 الاف ايغوري وهو ما دفع ب(Hui) إلى مغادرة المناطق التي قطنها الايغور بعد نهاية الحرب وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، ولم يتعاطفوا البتة مع أي مطالب انفصالية للايغور إذ عدوا مثل هذه المطالب بمثابة فتح باب لصراع عرقي طويل الامد في منطقة شرق آسيا ومثيرة لصراعات عرقية لدى بلدان مجاورة.[21]

إن الحكومة الصينية قد اتبعت طبقاً لمثل هذا التمييز مناهج وأساليب مختلفة للتعامل مع الايغور مقارنة بباقي مسلمي الصين

(21) Michael Dillon Chinas Muslims Hui, Community, Migration ,settlement and sect ,Psychology Press,1999,pp:101-105

يمكن القول إن الاسلام كديانة معترف بها في الصين تحظى وكذلك المسلمين الصينيين بقدر عال من الاحترام والسماح بحرية ممارسة الشعائر والطقوس الاسلامية ولم تمانع الحكومة في العقود الاخيرة من تأسيس روابط وجمعيات اسلامية عملت على توزيع خدماتها في مختلف المدن والاقاليم التي تضم غالبية اسلامية وبغض النظر عن الاصول الاثنية والعرقية للسكان، ويتمتع المسلمون في الصين بحرية دينية واعتقادية ولا تنظر لهم الحكومة بحسب ما هو معلن أي نظرة عدائية، ولكن المشكلة الاساسية تكمن في العلاقة المتوترة دوماً بين الحكومة والايغور، ففي اقليم جيانج غير المتفق على تسميته بين السلطات

إن الاسلام كديانة معترف بها في الصين تحظى وكذلك المسلمين الصينيين بقدر عال من الاحترام والسماح بحرية

الرسمية والسكان يتم تقييد أي نشاط يقوم به الايغور وذلك لاعتبارات عرقية إذ ان الايغور ينتمون لعرق وثقافة تختلف تماماً عن العرق والثقافة السائدين في الصين وهنا تكمن العُقدة في العلاقة، فحلم تأسيس دولة منفصلة في اقليم تركستان الشرقي كما كانت موجودة لحقبة محدودة في بداية عقد العشرينات لا يزال يداعب خيال الكثيرين من الايغور، كما بدأت السلطات الصينية بالتخوف من أي نزعة انفصالية سيما بعد انهيار الاتحاد السوفييتي في كانون الاول من العام 1991 سيما وأن هنالك امتداد عرقي واثني للترك الايغور في جمهوريات اسيا الوسطى التي استقلت عن الاتحاد السوفييتي تباعاً رغم ان السلطات الرسمية في جمهوريات مثل كازاخستان واوزبكستان وطاجيكستان قد أعلنت صراحة بعدم نيتها بالتدخل بالشأن الداخلي الصيني وعدم مساندة أي نزعة ترمي لتقويض الوحدة الوطنية الصينية.

لقد بدأت الحكومة الصينية تخشى وعلى نحو متزايد اي نمو للنزعة القومية الانفصالية في اقليم تركستان الشرقية والذي عرفته باسم اقليم جينانج وذلك بتأثير الآراء والاتجاهات المتطرفة والتي يمكن ان يكسبها مسلمو الاقليم نتيجة تأثرهم بنظرائهم من مسلمي آسيا الوسطى والذين يشتركون مع الايغور في الدين واللغة.[22]

(22) .Donald Daniel Leslie, The Integration of Religious Minorities in China: The case of China Muslims, Fifty nineth George Ernest Morrison Lecture in Ethnology,1998,pp:23-24

لقد راعت الحكومة الصينية مشاعر المسلمين في الصين حينما حلت سنة الخنزير في التقويم الصيني فلم تقم باحتفالات صاخبة متجنبة أي اثارة للمشاعر الاسلامية المتعلقة بقذارة هذا الحيوان، ولكنها وفي الوقت ذاته تعاملت بشكل مختلف تماماً مع المسلمين طبقاً لانتمائهم العرقي والمناطقي فالمسلمون الصينيون من عرق(Huei) كانوا قادرين ومنذ عقد الثمانينات من التعبير عن هويتهم الدينية وبناء مساجدهم وتجديد المتهالك منها وكذلك السماح لأطفالهم بارتياد المساجد وتلقي التعليم الديني، في الوقت الذي كانت تطبق فيه إجراءات أكثر تشدداً تجاه الايغور فلقد تم إستبعاد مدارس الايغور من أي دعم أو مساندة حكومية وذلك بسبب نزعتهم الانفصالية وامتزاج المشاعر الدينية بالمَشاعر العرقية في أي توجه ثقافي لهم.[23]

راعت الحكومة الصينية مشاعر المسلمين في الصين حينما حلت سنة الخنزير في التقويم الصيني فلم تقم باحتفالات صاخبة

(23).A.c.s.Peacock(editor) Islamisation Comparative Perspective from History, Edinburg University Press, 2017,pp:425-428

(24) Anthony Reid,A History of Southeast Asia, Critical Crossroads, Wily Blackwell, 2015,pp:394-395

وعلى الرغم من أن التعليم الديني للأطفال محرم في أغلب المدارس الصينية في البلاد إلا ان الحكومة الصينية تعاملت بشكل مختلف مع المسلمين فسمحت لأطفال المسلمين بتلقي التعليم الديني وإكمال الدراسة الثانوية في مدارس دينية بتوجيه أئمة مختصين، وبالطبع مثل هذه الامتيازات لم يكن ليتمتع بها الايغور في اقليم جيانج.[24]

فالجماعة العرقية هي تلك الجماعة التي تتميز بجملة من الخصائص البيولوجية واللغوية والنفسية والتي تجعلها بمثابة جماعة متميزة عن الجماعات الأخرى

كما سمحت الحكومة الصينية للمسلمين الهوي وفي مختلف اصقاع البلاد بممارسة الصوم اثناء حلول شهر رمضان المبارك وكذلك ادائهم لمناسك الحج وسمحت للنساء بارتداء الزي الاسلامي، ومثل هذه الحرية المتاحة للمسلمين الصينيين لم ينل منها الايغور سوى نزرٍ يسير.

ولعل من المناسب هنا قبل الدخول في التفاصيل الخاصة بالوضع الاثني والسياسي للايغور في الصين بشكل منفصل التعريف بمفهوم الجماعة الاثنية أو العرقية ومدى انطباق هذا الوصف على الايغور المسلمين، فالجماعة العرقية هي تلك الجماعة التي تتميز بجملة من الخصائص البيولوجية واللغوية والنفسية والتي تجعلها بمثابة جماعة متميزة عن الجماعات الأخرى، ولعل هنالك ضرورة ماسة لفهم التمايز والاختلاف بين الجماعات العرقية المختلفة دون أن تكون هنالك رغبة بإعلاء قيمة ومكانة عرق أو اثنية على حساب الجماعات العرقية الاخرى.

ويترسخ وجود الجماعة العرقية أو الاثنية وكذلك مفهوم مثل الصراع العرقي والاثني في أي دولة أو مجتمع عندما تؤمن الجماعة العرقية أو الاثنية بأن هنالك ضرورة لأن تكون جماعتهم العرقية أو الدينية متمتعة بتقدير ومكانة عاليين وقد يسعون هم بالمقابل للحصول على اعتراف دولي أي إنَ هنالك تلازم طردي بين المكانة الدولية أو الاقليمية للكيان الاقليمي وبين مكانة الشعب الذي ينتمي لهذا الكيان ويجسد هويته العرقية بما تحمله من رموز ثقافية ودينية، وغني عن القول إن أي صراع عرقي أو اثني يعمل على تقسيم المجتمعات سيما تلك التي تتكون من مجموعات من الاعراق والاثنيات والمذاهب المختلفة إلى مجموعة من الهويات المتناثرة والمتناحرة.[25]

(25) Okamura, Situational ethnicity, Ethnic and Racial Studies, Volume (4),1984,pp:452-465

ولابد من التأكيد على الدور الذي يلعبه الاعتراف السياسي في بلورة الهوية العرقية وابرازها للوجود ولا سيما في البلدان التي عانت مرارة التحول السياسي والحصول على الاستقلال الناجز، وذلك على صعيد العلاقة بين الدولة والجماعة العرقية الموجودة على اراضيها سيما إذا كانت هذه الجماعة تُشكل أقلية كبيرة من الناحية العددية، وعن طريق الاعتراف السياسي تحظى الجماعة العرقية بهوية عرقية متوائمة ومتجانسة، وقد تكون عملية بناء الهوية الجمعية عملية قائمة على التركيز على الدور التاريخي لجماعة اثنية بعينها دون أن يشمل ذلك بقية الجماعات الاثنية التي تشكل المجموع السكاني لجميع سكان البلاد، وقد تدعي بعض الجماعات الاثنية بان بلداً أو اقليماً معينا هو بمثابة الارث التاريخي او الموطن الاصلي لهذه الجماعة وبالتالي فأن على المؤسسات السياسية أن تعكس واقع التجانس القومي في مثل هذا البلد، وفي مقابل ذلك قد تطالب بعض الجماعات العرقية بالحق في أن تمثل ضمن البلد وتتمتع بشكل متساوٍ من ناحية توزيع الثروات أو المشاركة في آليات الحكم، وبطبيعة الحال فان مثلً هذا الاختلاف بين ما تحدده الجماعة العرقية الاكبر ومطالب الجماعات العرقية الاقل عدداً قد يؤدي لحالة من الصراع السياسي والتي تؤدي لهيمنة تامة من لدن الجماعة الاكبر وإيجاد صيغة دستورية تفضي لإرساء قاعدة من المساواة في الحقوق بين مختلف الجماعات العرقية.[26]

تدعي بعض الجماعات الاثنية بان بلداً أو اقليماً معينا هو بمثابة الارث التاريخي او الموطن الاصلي

(26) Horowitz, Ethnic Groups in Conflict, Berkeley, California, University of California Press,1985,pp:55-92

ولابد من القول أن هنالك عاملين أساسيين يرتبطان بالهوية العرقية وهما وجود

مشاعر من العداء والبغضاء مستفحلة ومتقدة، بين مختلف الجماعات العرقية والاثنية وحينما تسعى الجماعات العرقية إلى تعزيز هويتها المميزة فهي تتخذ جملة من الخطوات المكملة التي تؤدي للانفصال عن المجموع، وهو الامر الذي يترك تأثيراً كبيراً على العمل السياسي في البلاد وحينما تتواجد جماعة تختلف في سماتها العرقية والدينية عن الجماعة الاصلية في البلاد، ينشأ قدر كبير من التناقض والصراع مع الجماعة العرقية الاصلية وهو ما يولد الرغبة الحثيثة بتأكيد الهوية العرقية المتمايزة والمختلفة.[27]

(27) Tonkin, Macdonald and Champan (eds), History and Ethnicity, ASA, Monographs,27,London, Routtledge,1988,p:78

وحينما تعاني جماعة عرقية من أي اضطهاد أو أي شكل من أشكال التمييز فإنها تعمل على المطالبة بحقوقها على نحو شرعي، وبالتالي فأن ما تسعى لتحقيقه جهة أو جماعة معينة سوف يفضي لفقدان الامتيازات التي كانت تتمتع بها جماعة اخرى، كما أن سعي الجماعات العرقية لإيجاد حالة من الشرعية لنضالها السياسي يؤدي لإبراز هويتها القومية، ولعل من السمات غير الواضحة للصراع العرقي او الاثني سعي جماعة عرقية معينة للهيمنة على بلد متعدد الاعراق، وفرض مشروع ايدلوجي يرتبط بهذه الهيمنة وبالتالي اتخاذ الصراع الاثني ابعاداً لا تتحدد بالصراع الاثني او العرقي بل بالسياسة العامة للبلاد.

وحينما تعاني جماعة عرقية من أي اضطهاد أو أي شكل من أشكال التمييز فإنها تعمل على المطالبة بحقوقها على نحو شرعي

ولعل من المناسبة هنا ان نعرف معنى الاقلية وهل ينطبق هذا المصطلح على الايغور في الاقليم الذي يشكل هويتهم العرقية والاثنية فالأقلية بحسب تعريف القانون الدولي:» مجموعة من السكان الاصليين أو المهاجرين المستوطنين ممن يختلفون عن الاغلبية أما من ناحية العرق أو الدين او اللغة، ولكنهم يتمتعون بحقوق المواطنة كافة من دون تمييز، وتتولى الدولة حماية حقوقهم وحرياتهم مع الاعتراف بولايتها الكاملة عليهم.[28]

(28) جمال الدين محمد محمود، الاسلام والمشكلات السياسية المعاصرة، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري واللبناني، 1992،ص:385

وتختلف الاقلية الاثنية بهذا المفهوم عن الوافدين الاجانب حتى وأن اقاموا اقامة دائمة ومتصلة للعمل داخل البلاد، ذلك إن وجودهم لا يعدو كونه مؤقتاً ولا يترتب عليه ما يترتب على وجود الاقلية التي شكل تاريخها جزءا من تاريخ البلاد وتفاعلت مع عناصره ومكوناته عبر العصور.

ولعل الميزة الخاصة بالأقلية العرقية أو الاثنية هي إنها اقلية لها هوية ثقافية مختلفة عن الهوية الثقافية لغالبية افراد المجتمع وهويتها الثقافية هذه عادة ما تتطور في اتجاه متميز ومختلف عن الهوية الغالبة لأفراد المجتمع الذي تتشارك معه العيش. ولما كانت الهوية سواء كانت شمولية او فرعية عبارة عن هوية ثقافية فيبدو التساؤل ملحاً حول ما فعلته الحكومة الصينية مع الثقافة الفرعية الايغورية، ويشهد الواقع التاريخي أن الحكومة الصينية بدأت ومنذ العام 1978 باتباع سياسة تقوم على الانفتاح على الثقافات الفرعية التي يتكون منها المجتمع الصيني وعلى هذا الاساس فقد بدأ الكتاب والمثقفين من الايغور بكتابة الروايات

ويشهد الواقع التاريخي أن الحكومة الصينية بدأت ومنذ العام 1978 باتباع سياسة تقوم على الانفتاح على الثقافات الفرعية

والقصص التي كانت امتداداً للأدب التركي الايغوري ولقد انطوت كتاباتهم على ثيمات وأفكار كان من غير المعقول والمقبول طرحها قبل عقدين من الزمن أي في مرحلة تأسيس جمهورية الصين الشعبية، ولقد سعى عدد من الكتاب والمفكرين الايغور إلى محاولة احياء الثقافة الايغورية ذات الطابع الهوياتي المتمايز عن الاغلبية السكانية في الصين وانتشرت في هذه الحقبة كتابات عبد الرحيم اوكتور والذي نشر عدداً من القصائد والروايات ذات الطابع السياسي، كما وضع الشاعر والمؤرخ طورخان الماز عدداً من المقالات التاريخية والتي كان من أهدافها احياء الهوية الايغورية والتي ركزت على التاريخ القديم والمتمايز للايغور وعملهم على تأسيس عدد من الدويلات عبر التاريخ ولقد تسامح المسؤولون مع هذه الكتابات المخالفة والمناقضة للطروحات الرسمية للحكومة، وذلك لإدراكهم الحنكة التي كان يتمتع بها زهاو سينغ بينغ وادارته لثيمة الاختلافات العرقية في البلاد.[29]

(29) Wang Ke, Between The Ummah and China, The Qing Dyansty Rule over Xinjiang Ughur Society, Journal of Intercultural Studies, Kobe University ,Vol(48),2017,pp:184-198

ولم يكن من الممكن أن يستمر طويلا شهر العسل الذي ساد بعد اصلاحات بينغ في نهاية عقد السبعينات فقد القت سني التسعينات ظلالها على العلاقة التي بدأت بالتدهور سيما بعد التظاهرات الطلابية في ساحة تيان مين في العام 1989، ولم يكن من المستغرب أن تتهم الحكومة الماز بالعمل على إثارة مكامن الحقد العنصري والعمل على الترويج لانفصال الايغور عن الصين.

أن أي صراع عرقي أو اثني يعتمد على ثلاثة عناصر اساسية الا وهي الهوية القومية ومحاولة احيائها من لدن الاقلية

ولنتعرف في البداية عن كيفية تمايز الهوية الايغورية لابد من التذكير بحقيقة وهي أن أي صراع عرقي أو اثني يعتمد على ثلاثة عناصر اساسية الا وهي الهوية القومية ومحاولة احيائها من لدن الاقلية، ومقدار الشرعية السياسية التي يتمتع بها النظام السياسي الحاكم وتأثير تقبل شرعيته على تحرك الاقلية المطالب بالحكم الذاتي أو الاستقلال، ومقدار العدالة في توزيع الثروات ونسبة المشاركة السياسية، فاذا ما اخذنا الهوية القومية للايغور فسوف نجد ان اصلهم التركي الطوراني يجعلهم بعيدين عن عرق الهان السائد في الصين ويحتل الاقليم الخاص بهم والذي اصبح يعرف باقليم جيانج والذي تثير تسميته سخط الايغور والذي يعني الارض الجديدة حتى كأنها بمثابة أرض جديدة لم تكن موجودة أو مأهولة قبل احتلال الصين لها، ويمثل الاقليم سدس مساحة البلاد إلا أنه لا يشكل من الناحية الديمغرافية سوى 1% من مجموع سكان الصين، ويضم الاقليم مكامن احتياطية غنية بالنفط والغاز الطبيعي والمعادن الثمينة ولقد عدت الحكومة الصينية بان الاقليم وما يضمه من ثروات ومساحات شاسعة قادر على استيعاب المهاجرين من مناطق صينية مختلفة فضلاً عن كون الأقليم الطريق المؤدي لآسيا الوسطى وبالتالي فهو جزء من طريق الحرير والذي يشكل مشروعا محوريا مهما للصين وتؤمن الحكومة الصينية بان أي ضياع للإقليم يعني ضياع تايوان والتبت، وتؤمن الرواية الرسمية الصينية بأن الاقليم

ولقد عدت الحكومة الصينية بان الاقليم وما يضمه من ثروات ومساحات شاسعة قادر على استيعاب المهاجرين من مناطق صينية مختلفة

وسكانه كانوا جزءا من الصين ومنذ حقب بعيدة في حين يرى الايغور بأن منطقتهم كانت مستقلة عن أي شكل من أشكال الهيمنة الصينية، وحتى نفهم مثل هذه الثيمات التاريخية وجب علينا العودة قليلا للتاريخ الذي استولت فيه الصين على المنطقة وذلك في عهد سلالة زانغ الحاكمة، التي سعت للامتداد في المناطق التي تشكل الان جزءا من تركستان الشرقية ولقد اطلق على الاراضي التي فتحها الجيش الامبراطوري اسم جيانح((Xinajiang)) ليدل على الحدود الجديدة والتي اضحت تتمتع بها الامبراطورية الصينية ومن الملاحظ أن هذه السلالة الحاكمة لم تطلق مثل هذه التسمية على اراضٍ جديدة تم اخضاعها للحكم الصيني وفي ذات الحقبة واطلق على سكان المنطقةً المسلمين بدلاً من الايغور واحيانا المسلمين المعممين وذلك لتمييزهم عن غيرهم من المسلمين الموجودين في الصين، ولقد تصارعت جملة من التسميات الدينية والقومية والجغرافية لتكون صفة للمنطقة فسادت حيناً تسمية المنطقة الحدودية المسلمة والمنطقة القبلية المسلمة لتدل على محتوى اثني ديني وحيناً الدائرة الجنوبية لتشير محتوى جغرافي بحت.[30]

(30) Wang Ke, op.cit,p:188

ولقد تحولت المنطقة لما يشبه المحمية العسكرية واصبح القائد العسكري الصيني بمثابة حاكم عليها وقدرت الحامية العسكرية الصينية بنحو 39,726 الف جندي، ضمت تركستان الشرقية خمسة الاف منهم وذلك لضرورات المواجهة مع روسيا، وكذلك لمعالجة أي حالات عدائية قد تطرأ بين الايغور من جهة والكازاخ أو القرغيز من جهة أخرى، ولقد طبقت الادارة الامبراطورية ثلاثة انماط ادارية في المنطقة عكست التنظيم الاداري الموجود في البلادً، كان الاول في المنطقة الشرقية من الاقليم والتي دمجت مع وزارة الداخلية أي انها كانت تدار من لدن ضباط شرطة وقسمت لمقاطعتين، واما النظام الثاني فقد عرف باسم نظام الساغ والذي كان مخصصاً لإدارة المناطق البدوية أو المناطق التي يقطنها البدو الرحل من المغول، وهي مناطق محاذية لمناطق الايغور في كامول وتوربان أي في المحيط الشرقي للمنطقة.

طبقت الادارة الامبراطورية ثلاثة انماطٍ ادارية في المنطقة عكست التنظيم الاداري الموجود في البلاد،

واما النظام الثالث فهو النظام الذي كان يرأسه ((البيك)) وهو لقب تركي يعني الرئيس او السيد والذي كان غالباً ما يمنح لأفراد من علية القوم، وتراس ((الباكوات)) من الاسر الايغورية الرفيعة هذا المنصب وكان ذلك دليلاً على اندماج زعاماتهم في تلك الحقبة مع النظام الاداري الصيني والذي كان يسعى لفرض الامن والنظام في المنطقة مع مراعاة التقاليد والاعراف السائدة، وانقسم نظام الباكوات إلى عدة انماط وانيطت لعدد من الشخصيات من ذات الاسرة ممارسة جملة من المهام فكان هنالك حكيم بك المسؤول عن الادارة المدنية وشاهين بك المسؤول عن الشؤون الداخلية وغازانجي بك المسؤول عن الضرائب، وميراب بك المسؤول عن اعمال الري وغازي بك المسؤول عن تطبيق الشريعة الاسلامية، وأضحى الباكوات ممثلين عن السلالة الامبراطورية في حكم المنطقة وادارتها وجمع الضرائب وادارة الشؤون

الزراعية والصناعية والتجارية وكذلك نظم التربية والتعليم والشؤون الدينية كما كان من حق كل (بك) الاحتفاظ بقوة عسكرية من المسلمين للحفاظ على الامن والنظام في الاقليم. [31]

(31) Ibid,p:196

ومنذ العام 1877 قام احد زعمائهم وهو يعقوب بك بتأسيس مملكة مستقلة واقام علاقات دبلوماسية مع تركيا وبريطانيا وهنا حصل الاختلاف بشان جذور الهوية القومية بالنسبة للايغور والحكومة الصينية فغالباً ما تسعى الاقلية المطالبة بالاستقلال الى التأكيد على أن تاريخها الاستقلالي موغل بالقدم في حين تقدم الحكومة رواية اخرى تعد فيها الاقليم رقعة جغرافية شكلت الامتداد الطبيعي لأرضها وممتلكاتها ويبدو هنا الصراع على تاريخانية المكان اكثر من الصراع على المكان ذاته، لقد شهد تاريخ المنطقة على رغبة الايغور بإثارة المشاعر المعادية للحكومة الصينية سواء في عهد الاباطرة او في العهد الجمهوري الاول (1911-1949) ولقد استطاع قادة الايغور الاتراك تأسيس دولتين في حقبتين مختلفتين كانت الاولى بين عامي 1933 وحتى العام 1934 واما المحاولة الثانية فقد كانت الاكثر نجاحاً وفاعلية إذ ضمت الاقاليم الشمالية الغربية من الاقليم واستمرت بين العامين 1944 وحتى العام 1949. [32]

وأضحى الباكوات ممثلين عن السلالة الامبراطورية في حكم المنطقة وادارتها وجمع الضرائب وادارة الشؤون الزراعية والصناعية والتجارية

(32) James Millward, Eurasian Crossroads, A History of Xinjiang, Columbia University Press,2007,p:108

لقد واجه الحزب الشيوعي الصيني تحديات جمة في الاقليم بعد الاعلان عن تأسيس جمهورية الصين الشعبية وكانت أبرز هذه التحديات هي نمو الرغبات الاستقلالية لسكان المنطقة، الأمر الذي واجهته السلطة والحزب بالقمع والسجن والتضييق على كل اولئك الذين يتبنون النزعة الانفصالية وهنا حصل اختلاف حول الشرعية الخاصة بالنظام السياسي وادواته الايدلوجية، ولقد برزت جملة من الاحـزاب السرية والتي روجت للانفصال أو سعت للتأكيد على هوية سياسية متمايزة، ولم يكن من المتوقع ان تسمح الحكومة الصينية سيما في حقبة الستينات بتأسيس احزاب معارضة في أي مكان في الصين الأمر الذي دفع قادة الحركات السياسية الايغورية للهجرة نحو الاتحاد السوفييتي والتخطيطي لمشروع سياسي ايغوري يقوم على تأسيس دولة الايغور المستقلة. [33]

واجه الحزب الشيوعي الصيني تحديات جمة في الاقليم بعد الاعلان عن تأسيس جمهورية الصين الشعبية

(33) James Wellman, Bloodshed,Religion and Violence across Time and Tradition,, Rowman & Littlefield Publishers,USA,2007,P:121-122

ولم تشهد الحقبة الممتدة بين الاعوام 1958 وحتى العام 1976 أي نوع من أنواع النشاطات الانفصالية، ولكن كانت هنالك منظمات سرية تعمل من أجل إذكاء الرغبات الانفصالية ولقد شهد العام 1962 قيام عدد كبير من الايغور والكازاخ بالتظاهر في الشمال الغربي من الاقليم وشهدت هذه الحقبة هجرة ما يقارب من 600,000 الف ايغوري إلى الاتحاد السوفييتي ولم يستطع الايغور التعبير عن تطلعاتهم القومية وهويتهم المتميزة بعد العام 1978 وشاركوا في عدد كبير من التظاهرات في نهايات عقد الثمانينات وكانت بعض مطالبهم تتلخص بالدعوة للاستقلال لإقليم جيانج منذ عقد التسعينات وجلبت مثل هذه المطالب انظار

المجتمع الدولي بعد ان كانت المنطقة برمتها منسية وكانت أحداث العنف في منطقة باري في العام 1990 قد بينت حقيقة الهوية الايغورية فلقد هاجم الالاف من الشباب الايغور مقرات الحكومة المحلية ومراكز الشرطة وكان ذلك واحداً من أكثر الحوادث المميزة لتحركهم عنفاً ودموية، كما كان حادث التفجير الخاص بالباص في ارومجاي العام 1992 ومن ثم تكرر ما يماثله في العام 1997ولقد تركت مثل هذه الحوادث العشرات من القتلى وأدت إلى وسم الايغوريين الانفصاليين بسمة الارهاب كما تحولت التظاهرات السلمية في العام 1995 في هوتان إلى مواجهات دموية بعد أن هاجم رجال الشرطة المتظاهرين وبأساليب عنيفة بمعنى إن النزاع في الاقليم تحول إلى موضع اهتمام دولي بعد العام 2000 اما قبل هذا التاريخ فلم يكن يلقى الاهتمام الكافي وذلك بحكم سرية الحركة وعدم اعلان معظم قادة الحركات السياسية الايغورية عن نفسها ولم تبد أي دولة رغبتها بالتدخل أو الوساطة بين الانفصاليين والحكومة الصينية.[34]

(34) Justin Ben Adam, Oasis Identities, Uyghur Nationalism a long China Silk Road, Columbia University Press,1997,p:188

أن وجود حالة من الصراع العرقي او الاثني هنالك ثلاث ثيمات اساسية الا وهي الهوية والشرعية السياسية وتوزيع السلطات والعدالة في توزيع هذه السلطات

لابد من القول أن وجود حالة من الصراع العرقي او الاثني هنالك ثلاث ثيمات اساسية الا وهي الهوية والشرعية السياسية وتوزيع السلطات والعدالة في توزيع هذه السلطات، وهذه العوامل ترتبط فيما بينها ارتباطاً وثيقاً، ولعل التساؤل الابرز هو كيفية تبلور الهوية المتميزة والمختلفة وكيفية نمو الشعور القومي الذي يدفع بالفرد إلى عد ذاته مختلفاً عن الجماعة السياسية الشمولية المفترضة، وفي حالة الايغور هي الصين والقومية الصينية، وما هي العوامل والدوافع التي تفضي لتعزيز الجوانب الاختلافية في الهوية، أي العناصر التي تجعل المواطن مختلفاً عن نظيره بما يحمله من ارث ثقافي وديني متميز، وهل يتحول هذا الاختلاف إلى حالة من العنف في التعبير عن مكونات الهوية ومخرجاتها في حالة فشل الحكومة في تلبية متطلبات الحكم العادل وتحقيق قدر معقول من الشرعية السياسية، وما هي الخيارات المطروحة امام صانع القرار لحل الاشكاليات المرتبطة بالصراع الاثني وهل ستكون خيارات مثل الحكم الذاتي أو إقرار حق تقرير المصير او اتباع النظام الفيدرالي خيارات مطروحة لتتلاءم مع مطالب وتطلعات الاقلية الاثنية أو العرقية بمعنى ان الحل الذي يقدمه صانع القرار قد يتواءم مع رغبة بإنشاء دولة مستقلة أو الحصول على حقوق وامتيازات تخص وضع الاقلية بالدرجة التي يجعلها متميزة عن باقي السكان، وبالنسبة للايغور لا تعدو الرغبة بإحياء الهوية المتميزة والمختلفة عن الهوية الشمولية الصينية إلا نتيجة اختلاف ديني وعرقي ينتظر جملة من المحركات التي تفضي لاتخاذ التمايز والاختلاف طابعاً اكثر حدة ومنها الرغبة بتغيير الطابع الديمغرافي فمثلا شهد العام 1981 تظاهرات منددة بمقتل شاب ايغوري على يد فرد من قومية الهان ولقد ندد المتظاهرون في حينها بالإجراءات الحكومية التي ترمي لتغيير طابع المنطقة السكاني ودعوا بشكل علني لتأسيس جمهورية ايغورستان.[35]

(35) Hsia Ting Lin, Modern Chinas Ethnic Frontiers, A Journey to the West, Routledge Studies in the Modern History of Asia,2011,p;66-67

ولم تكن هذه التظاهرات سوى بداية لتظاهرات حاشدة تلتها في الاعوام التي سبقت مظاهرات ساحة تيان مين وكانت اشدها ما حصل في العام 1985 حينما اقيل اداري ايغوري من منصبه كحاكم لاقليم جيانج وتعيين صيني بدلا عنه وهو الامر الذي أحيا قضية التنديد بوجود عدم تكافؤ للفرص بين الايغور وغيرهم وهذا يعني ان احياء الهوية ارتبط بإحياء مبدأ العدالة والمساواة، فارتبطت شعرات مثل الحصول على العدل وتكافؤ الفرص مع ضرورات اخراج الهان من الاقليم، وهو ما يعني إن المعاناة من الحرمان السياسي ترتبط بوجود سياسات حكومية ترمي لتغيير طابع المنطقة وتسعى لتأطيرها باطار صيني رسمي.

لابد من القول إن في حالات الصراع الاثني يتحول أي إجراء حكومي إلى اثارة مشاعر الشك والريبة لدى الطرف الذي يحس بالحرمان والتمييز حتى وان كان ظاهر هذا الاجراء ايجابياً، وهو ما يفضي لعده وسيلة من وسائل القسر القومي الذي تقوم به الاغلبية، وهو ما دفع بالايغور الى التدرج بحكم الظروف السياسية والتاريخية في مطالبهم من الرغبة بإيجاد قاعدة من المساواة في الحقوق والامتيازات إلى طلب المشاركة في السلطة أو تحقيق الحكم الذاتي وذلك لحماية الخصوصية الثقافية لأبناء المنطقة وآما الخيار الأخير فهو الانفصال والذي يطرح بعد استيفاء الحلول السابقة، والتساؤل الذي يطرح هنا هو إلى أي حد تبدو الجذور الثقافية والعرقية والدينية للايغور مختلفة عن الهوية الجمعية الشاملة، فهم أساساً ينتمون لأرض ودين وثقافة مختلفة بشكل تام عن الثقافة الجمعية وينتمون في ذات الوقت لفضاء ثقافي وعقدي أوسع هو الفضاء الاسلامي، ولم تختلف الرغبة عند الايغور بايجاد هوية متميزة ومختلفة عن الهوية الجمعية الشاملة التي تسعى لفرضها الحكومة الصينية عن رغبة المسلمين بإحياء هويتهم كونهم يشعرون بانتمائهم لامة مختلفة ومتميزة عن الفضاء الثقافي الصيني ذو الجذور البوذية والكونفوشيوسية، كما لم تنفصل رغبتهم بتحقيق استقلال ناجز وتام عن رغبة دول عديدة بالتدخل من اجل التأثير على الدور والحركة الصينية في البلدان العربية والاسلامية وبدأت معالم هذا التدخل منذ منتصف عقد التسعينات من القرن العشرين بدافع المحافظة على حقوق الانسان وحماية الاقلية الايغورية، كما نشط الايغور ذاتهم في الترويج لقضيتهم والدعوة لتطوير مبدا الحكم الذاتي إلى مبدأ حق تقرير المصير ومن ثم تحقيق الاستقلال الناجز عن الهيمنة الصينية، وبطبيعة الحال لم تكن دعوتهم تلك منفكة عن رؤيتهم لنظرائهم في جمهوريات اسيا الوسطى وهو يتمتعون بحقوقهم كمواطنين كاملي الاهلية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي في نهاية العام 1991، وعلى الرغم من أن القادة الصينيين اكتسبوا خبرات واساليب القادة السوفييت في التعامل مع الاقليات وكذلك ادارة الجمهوريات ذات الاغلبية المسلمة في اسيا الوسطى.[36]

إن في حالات الصراع الاثني يتحول أي إجراء حكومي إلى اثارة مشاعر الشك والريبة لدى الطرف الذي يحس بالحرمان والتمييز حتى وان كان ظاهر هذا الاجراء ايجابياً

لم تكن الثروات الطبيعية التي تضمها منطقة تركستان الشرقية بعيدة عن تفكير

(36) Dru C. Gladney, Muslims Chines: Ethnic Nationalism in the people Republic, Harvard University Asia Center,1996,pp: 137-396-397

صانع القرار الصيني حينما يسعى لرسم اطر من التعامل مع الايغوريين كشعب يسعى لأن تكون هويته الدينية مداراً لانتمائه السياسي إذ تحتوي المنطقة على احتياطات واسعة من النفط والغاز الطبيعي وتعد معبراً مهماً للصين وطريقاً لمواصلاتها مع اسيا الوسطى، ولقد شهدت المنطقة في الحقبة التي تولى فيه الحزب الشيوعي الصيني مقاليد الامور في البلاد تحولات دراماتيكية كبرى على صعيد التغييرات السكانية إذ تناقص عدد الايغور في شرق تركستان بنسب ملحوظة فبعد ان كانت نسبتهم 75% اضحت اليوم 45%.

لم تكن الثروات الطبيعية التي تضمها منطقة تركستان الشرقية بعيدة عن تفكير صانع القرار الصيني

وعلى الرغم من الايغور يتبنون اسلاماً معتدلاً ذو توجه صوفي ويوائمون كما ذكرنا بين دينهم وهويتهم الثقافية بمعنى أن الاسلام السياسي غدا محركاً اساسيا لهويتهم كأتراك أيغور، ويركزون في ذات الوقت على طبيعة الاختلافات التي تميزهم عن باقي مسلمي الصين من قومية(الهان) والمنسجمين اكثر مع الخط الحكومي، لقد عمل الايغور كما هو الحال مع التبتيين على إبقاء تميزهم الديني والثقافي كأداة من أدوات مواجهتهم للحكومة الصينية ولم تتمكن الحكومة من صهر هويتهم ببوتقة ايدلوجية الجزب الشيوعي أو الثقافة الرسمية الصينية، كما كانت اجراءات مثل تقليص فرص التعليم التي يمكن أن يتمتع بها الايغور قد ادت لتطور جذري في موقف الانفصاليين الايغور ومطالبتهم بتأسيس دولة مستقلة وذلك لمواجهة الحكومة وإجراءاتها الاكثر تطرفاً.

لقد عمدت الحكومة الصينية إلى جعل إجراءاتها التي تحد من الحريات الدينية لدى الايغور بمثابة قوانين مرعية وعدت التجمعات الدينية لدى الايغور بمثابة جريمة يعاقب عليها القانون الامر الذي جعل الايغور يشعرون بان هويتهم بمواجهة مخاطر الطمس والتذويب.

بالمقابل كانت الحكومة الصينية تبرر كل اجراءاتها القمعية والصارمة ضد الايغور بانه جزء من مواجهتها لقوى الارهاب والتطرف الديني والرغبات الانفصالية التي تهدد سلامة و وحدة الاراضي الصينية أي أنها لم تكن موجهة ضد الاسلام كدين أو الثقافة الاسلامية، وبررت في ذات الوقت إجراءات مثل ضرورة مراقبة الخطب الدينية وتلقي ائمة المساجد دروسا في التوعية السياسية التي تجعلهم منسجمين مع التوجهات الحكومية وضمان عدم استخدام أي كتب دينية خلا القرآن الكريم وتقديم نسخة مسبقة من خطبة صلاة الجمعة لضرورة الموافقة عليها وتحريم ارتداء ملابس يمكن عن طريقها تمييز الشخص طبقاً لانتمائه الديني وكذلك عدم ارتياد الافراد الذين تقل اعمارهم عن ثمانية عشر عاماً المساجد حتى لا يكونون عرضة لتأثير الثقافة الدينية المتشددة، ومثل هذه الاجراءات لا تشمل بطبيعة الحال المسلمين في بقاع أخرى من الصين.

كانت الحكومة الصينية تبرر كل اجراءاتها القمعية والصارمة ضد الايغور بانه جزء من مواجهتها لقوى الارهاب والتطرف الديني

ولعل أكثر القوى الدولية الساعية للتدخل في القضية الايغورية هي الولايات

المتحدة والتي بدأت رغبتها بالتأثير على القضية الايغورية حينما انشأت اذاعة تستخدم اللغة الايغورية ضمن اذاعة اوروبا الحرة وكان مدير الاذاعة اربكين البكتين وهو واحد من انشط دعاة الاستقلال الايغوريين عيسى يوسف البكتين، وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة أوقفت بث هذه الاذاعة بعد التقارب الامريكي الصيني على عهد الرئيس ريتشارد نيكسون الا أن تدخلها في القضية بقي بنسب متفاوتة فلقد عمد الكونغرس الامريكي لتأسيس اذاعة اسيا الحرة في العام 1996 وكانت موجهة للصين ولدول اخرى وبدأت المحطة ببث برامج موجهة للايغور في العام 1998، ولقد حاولت الحكومة التأثير على بث وارسال هذه الاذاعة والتي أضحت الاذاعة المفضلة لعدد كبير من الايغوريين والذين يسترشدون بتقاريرها الخاصة عن الحريات الدينية وكانت الرسالة الاساسية التي تسعى الاذاعة لايصالها هي أن الايغور يستحقون الحصول على حق تقرير المصير وأن موطنهم الاصلي تركستان الشرقية.[37]

(37) Elisabeth Alles, Leila Cherif Chebbi and Constance Halfon, Chinese Islam: Unity and Fragmentation , Religion, State and Society, Volume (31),No (1),2003,pp:19-20

ولقد عمد الايغور إلى تأسيس منظمات سياسية في بلدان اللجوء ك كازاخستان وقرغيزستان وبدأت هذه المنظمات بإرسال جملة من المجلات والتقارير والكتب لاقليم جيانج وروجت بشكل كبير لمبدأ الاستقلال دون الوقوف عن تطوير الحكم الذاتي وعلى الرغم من أن هذه التنظيمات السياسية لا زالت موجودة وتعمل بشكل علني إلا أنها واجهت ضغوطاً من حكومات كازاخستان وقرغيزستان للتوقف عن العمل او على الاقل تجميد نشاطها وذلك بحكم عضوية هذه الدول في منظمة شانغهاي للتعاون والتي تضم الصين، ولا تزال بعض التنظيمات الايغورية نشطة في تركيا كتلك التي اسسها عيسى البكتين، كما دخلت السعودية بنهجها المتطرف على خط دعم الايغور بعد أن عمل الايغوريين العاملين في السعودية على مد تنظيمات الداخل بالمال والدعم اللوجستي.[38]

أن هذه التنظيمات السياسية لا زالت موجودة وتعمل بشكل علني إلا أنها واجهت ضغوطاً من حكومات كازاخستان وقرغيزستان

(38) Heryk Szadziewski ,Religious Repression of Uyghur in East Turkestan Uyghur Human Rights Project, Venn Institute,-March,19,2013

كما أسس عدد كبير من الايغور المهاجرين في أوروبا واستراليا جملة من المنظمات والنوادٍ الثقافية والتي عملت على الترويج للحركة الاستقلالية، ولقدٍ سعت الحكومة الصينية ودأبت منذ نهاية عقد الثمانينات على إلصاق صفة الارهاب بعدد من هذه التنظيمات السياسية لكنها لم تنجح في مسعاها هذا على الصعيد الاممي، وعلى الرغم من نشاطها الخارجي فان هذه التنظيمات السياسية والثقافية تركت تأثيراً على مجريات السياسة الداخلية في اقليم جيانج على الرغم من إن عدداً كبيراً من قادة هذه الحركات السياسية كانوا موضع اتهام وملاحقة قضائية من السلطات الصينية.[39]

أسس عدد كبير من الايغور المهاجرين في أوروبا واستراليا جملة من المنظمات والنوادٍ الثقافية والتي عملت على الترويج للحركة الاستقلالية

(39) Hannah Beech, If China is Anti Islam Why are these Chines Enjoying a Faith Revival, Time, August,12,2014

لقد استبشر الايغور خيراً بعد تدخل الامم المتحدة وحلف شمال الاطلسي في أكثر من بقعة في العالم لمواجهة مخاطر التهديد العرقي كما جرى في البوسنة والهرسك وكوسوفو في يوغسلافيا السابقة واتشي في اندونيسيا، وكانوا يأملون بان

بالإمكان ان تقوم الهيئات الدولية بدور مماثل في الاقليم وذلك لحماية المسلمين ولكن وبعد احداث الحادي عشر من ايلول في العام 2001 قلت احتمالية قيام الهيئات الدولية بمثل هذا الدور نيابة عن الايغور، وكان اعلان الولايات المتحدة للحركة الاسلامية في تركستان الشرقية بمثابة حركة ارهابية بمثابة عامل محفز للصين ومحطماً لآمال عدد كبير من الايغور والذين وجدوا أن واحداً من أهم حركاتهم السياسية قد أضحت حركة ارهابية وبالتالي لن يكونوا قادرين على الحصول على أي شكلٍ من اشكال الدعم الدولي.[40]

لقد عدّ قادة واركان الحزب الشيوعي الصيني بأن جملة المنظمات والهيئات التي تدعو لاستقلال او الترويج لحق تقرير المصير للايغور بمثابة ادوات بيد الإمبريالية العالمية لتفكيك الصين وتحطيم قدراتها الصاعدة.

(40) Neha Sahay, Uyghur in China Should be believe what we see?, The Telegraph Online, December,11,2018.

الخاتمة والاستنتاجات:

لقد تنوعت وتعددت الاساليب والادوات التي اعتمدتها الحكومات الصينية المتعاقبة للتعامل مع المسلمين والذين يشكل وجودهم ارثا تاريخيا امتد للحقب الاولى التي ظهر فيها الدين الاسلامي على مسرح التاريخ، وعلى الرغم من مساهمة العرب والفرس في نشر الاسلام فان سرعة تقبل الصينين له ومن ثم ترك بصمة خاصة لإسلام صيني قد أدى لبروز مساهمة صينية في المسيرة الحضارية الاسلامية وهي مسيرة كانت موضع تقدير واجلال عدد كبير من اباطرة الصين، على ان هذه العلاقة لم تكن ايجابية على الدوام فقد تخللها قدر من الفتور واساءة التعامل في مراحل عديدة الامر الذي جعل الجمهورية الصينية والتي تأسست في العام 1911 ترث ملفاً معقداً يخص طبيعة العلاقة بين المسلمين في البلاد والسلطة، ولقد حاول النظام الجمهوري بعهديه الوطني والشيوعي إرساء أسس جديدة من العلاقات الايجابية ولكنه اصطدم بعدم تفكيك للعلاقة بين الاثنية والعرق من جهة والدين من جهة فتم التعامل مع المسلمين في البلاد ككل كجزء من قومية (Hui) والتي ينتمي لها المسلمون في مختلف ارجاء الصين ما خلا الجزء الشمالي الغربي والذي تقطنه اقلية الايغور وهو الامر الذي دفع الايغور للتمسك بجذور هويتهم المتميزة والمختلفة عن الهوية الصينية الجامعة وهي نتيجة حتمية لمحاولة تهميش تراثهم الثقافي او عده بمثابة نتاج لثقافة رجعية متخلفة تتناقض مع التفكير العلمي.

تداخلت عوامل اقليمية ودولية شجعت الايغور على المطالبة بحقوقهم وبروز قضيتهم على اكثر من محفل عالمي

لقد تداخلت عوامل اقليمية ودولية شجعت الايغور على المطالبة بحقوقهم وبروز قضيتهم على اكثر من محفل عالمي ولم يكن ذلك بدواع انسانية بكل الاحوال اذ كانت الرغبة بإيقاف او عرقلة المد الصيني في اكثر من بلد اسلامي هدفاً من اهداف الحملة التي تسعى للمطالبة بحقوق الايغور أو السعي لحث الحكومة الصينية على منحهم حق تقرير المصير. ولابد من القول إن سعي أي قومية أو مجموعة اثنية للمطالبة بحقوقها السياسية والثقافية يرتبط بوجود جملة من الاشكاليات المتعلقة

بعلاقتها مع الحكومة ونظرتها لطبيعة هويتها المتمايزة وإحساسها بعدم تمتعها بحقوقها الكاملة في المواطنة وفي الثروات الخاصة بالإقليم الذي تقطن فيه، وهذا يستدعي ايجاد قاعدة من الحوار المتبادل مع الحكومة المركزية والتمسك في الوقت ذاته بثوابت وطنية تجعل من قاعدة الحوار اداة لصياغة الهوية بنحو لا يفضي لان تكون اداة انقسام وتمزق بقدر ما تكون اداة تفاعل ايجابي بين الأنا والأخر.

المصادر:

اولا: الكتب العربية

1. جمال الدين محمد محمود، الاسلام والمشكلات السياسية المعاصرة، القاهرة، بيروت، دار الكتاب المصري واللبناني، 1992.

ثانيا: المصادر الانكليزية

1. Angela Schottenhammer(editor),The East Asiancrossroads, Culture,Commerce and Human Migration, Harrassowitz Verlag Wiesbaden,2008.

2. Anthony Reid,A History of Southeast Asia, Critical Crossroads, Wily Blackwell,2015.

3. A.c.s.Peacock(editor)Islamisation Comparative Perspective from History, Edinburg University Press, 2017.

4. BARBARA DEMICK, L Tibetan-Muslim tensions roil China, LOS Angles Times,June,23,2008.

5. Barbara L.K. Pillsbury (1981) Muslim history in China: a 1300-year chronology, Institute of Muslim Minority Affairs. Journal.

6. David Atwill, Chines Sultanet,Islam, Ethnicity,and the Panthay Rebellion in Southwest China,Stanford University Press, 2005,pp:55-56 3. David Robinson ,Empire Twilight, Northeast Asia Under Mongols, Harvard University Asia Center, 2009.

7. Donald Daniel Leslie, The Integration of Religious Minorities in China: The case of China Muslims, Fifty nineth George Ernest Morrison Lecture in Ethnology,1998.

8. Dru C. Gladney, Muslims Chines: Ethnic Nationalism in the people Republic, Harvard University Asia Center,1996.

9.Edward Rhoads, Manchu and Han, Ethnic Relations and Political Power in late Qing dynasty and early Republic in China1861-1928, University of Washington press,2000.

10. Elisabeth Alles, Leila Cherif Chebbi and Constance Halfon, Chinese Islam: Unity and Fragmentation , Religion, State and Soci-

ety, Volume(31),No(1),2003.
11. Hannah Beech, If China is Anti Islam Why are these Chines Enjoying a Faith Revival, Time, August,12,2014
12. Heryk Szadziewski ,Religious Repression of Uyghur in East Turkestan Uyghur Human Rights Project, Venn Institute,-March,19,2013
13. Horowitz, Ethnic Groups in Conflict, Berkeley, California, University of California Press,1985.
14. Hossisa Ali Exhibition: Islam in Asia: Diversity in Past and Present: The Silk Road & Islam Spread, Cornell University, 2019.
15. Hsia Ting Lin, Modern Chinas Ethnic Frontiers, A Journey to the West, Routledge Studies in the Modern History of Asia,2011.
16. James Millward, Beyond pass, Economy, Ethnicity, and Empire in Qing Central Asia,1759-1864,Stanfored University Press,1998.
17. James Millward, Eurasian Crossroads, A History of Xinjiang, Columbia University Press,2007.
18. James Wellman,Bloodshed,Religion and Violence across Time and Tradition,,Rowman&Littlefield Publishers,USA,2007.
19. Jiang Yonglin, The Mandate of Heaven and The Great Ming Code, University of Washington Press,2011.
20. Jonathan Lipman Familiar Stranger, History of Muslims in Northwest China, University of Washington Press,1997.
21. Justin Ben Adam, Oasis Identities, Uyghur Nationalism a long China Silk Road, Columbia University Press,1997.
22. Michael Dillon Chinas Muslims Hui, Community, Migration settlement and sect ,Psychology Press,1999.
23. Michael Dillon,Xinjiang, China Muslims far Northwest, New York, Routledge Cruzon,2004..
24. Neha Sahay, Uyghur in China Should be believe what we see?, The Telegraph Online, December,11,2018
25. Okamura, Situational ethnicity, Ethnic and Racial Studies, Volume(4),1984.
26. Reid, Anthony (2015). A History of Southeast Asia: Critical Crossroads. Blackwell History of the World. John Wiley & Sons.
27. Robinson, David M. “Eight The Ming Court and the Legacy of

the Yuan Mongols" (PDF). Culture, Courtiers and Competition: The Ming Court (1368–1644). Harvard University Asia Center.
28. Toh Hoong Tei , SINO-PLATONIC PAPERS,October,2000.
29. Tonkin, Macdonald and Champan (eds), History and Ethnicity, ASA,Monographs,27,London, Routtledge,1988.
30. Wang Ke, Between The Ummah and China, The Qing Dyansty Rule over Xinjiang Ughur Society, Journal of Intercultural Studies, Kobe University ,Vol(48),2017.